المسائل والفوائد العلمية من

شرح السنة للإمام البربهاري رحمه الله

عبد الله الغليفي

رحمه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اَلْحَمْد لِلَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أما بعد ٠

فَهَذِهِ هِيَ رِسَالَةُ صَرِيحِ اَلسَّنَةِ لِلْإِمَامِ اَلطَّبَرِي – رَحِمَهُ اَللَّهُ - صَاحِبُ اَلتَّفْسِيرِ وَالتَارِيخْ -وَهُيَ اَلشَّرْحُ اَلْسَابِعِ مِنْ سِلْسِلَةِ شُرُوحِ كُتُبِ اَلسَّنَةِ اَلَّتِي وَفِّقْنَا اَللَّهُ لِشَرْحِهَا فِي دَوْرَاتٍ عِلْمِيَّةٍ ، أَوْ دُرُوسِ مَنْهَجِيَّةٍ لِإِخْوَانِنَا طَلَبَةَ اَلْعَلَمِ ، وَهِيَ اَلسُّنَةُ لِلْإِمَامِ أَحْمَدْ ، وَالسُّنَّةُ لِابْنِهِ عَبْدِ اَللَّهْ ، وَالسُّنَّةُ لَلْبَرْبَهَارِي ، وَالسُّنَّةُ لَلْحَمِيدِي، وَاَلسُنَةُ لِلمُزَنِى والسنة لابن أبي زَمَنِين المالكي – رَحِمَهُمْ اَللَّهُ جَمِيعًا وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَنَفَّعَنَا بِعِلْمِهِمْ ،وَهِيَ عَلَى غِرَارِ أَخَوَاتِهَا مُخْتَصَرَةً عَلَى اِسْتِخْرَاجِ اَلْمَسَائِلِ وَالْفَوَائِدِ اَلْعِلْمِيَّةِ اَلَّتِي وَفِّقْنَا اَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَأَعَانَتِهِ وَتَسْدِيدَهُ لِاسْتِخْرَاجِهَا وَالْوُقُوفِ عَلَيْهَا ، نَسْأَلُ اَللَّهُ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهَا وَكُلِّ مِنْ اِطَّلَعَ عَلَيْهَا وَيَجْعَلُهَا خَالِصَةً لِوَجْهِ الكَرِيم وَأَنْ يَجْعَلَهَا لَنَا زَخَرَا يَوْمُ اَلْقِيَامَةِ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرَ عَلَيْهِ ، وَصَلَّى اَللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدْ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

أَبُو سَلْمَانْ عَبْدُ اَللَّهْ اَلْغَلَيْفِي

ترجمة الإمام محمد بن جرير الطبرى

اسمه ومولده:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري رحمه الله تعالى، يُكنى بـأبي جعفر، وعُرف بذلك، واتفق المؤرخون على أنه لم يكن له ولد يسمى بـجعفر، بل إنه لم يتزوج أصلاً، ولكنه تكنَّى التزامًا بآداب الشرع الحنيف، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُطلِق الكُنَى على أصحابه.

وُلِد سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م ، وقيل : في أول سنة (٢٢٥ هـ) ، وكانت ولادته بآمُل عاصمة إقليم طبرستان وهي أكبر مدن إقليم (طَبَرِسْتان) .

قال الخطيب البغدادي: "استوطن الطبري بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته".

طفولة الإمام الطبري وتربيته:

نشأ الطبري بآمل، وتربى في أحضان والده وغمره برعايته، وتفرس فيه النباهة والذكاء والرغبة في العلم فتولى العناية به ووجَّهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، كما هي عادة المسلمين في مناهج التربية الإسلامية، وخاصةً أن والده رأى رؤيا تفاءل بها خيرًا عند تأويلها. فقد رأى أبوه رؤيا في منامه أن ابنه واقف بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه مخلاة مملوءة بالأحجار، وهو يرمي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقصَّ الأب على مُعَبِّرٍ رؤياه فقال له: "إن ابنك إن كبر نصح في دينه، وذبَّ عن شريعة ربه". ويظهر أن الوالد أخبر ولده بهذه الرؤيا وقصها عليه عدة مرات؛ فكانت حافزًا له على طلب العلم والجد والاجتهاد فيه والاستزادة من معينه، والانكباب على تحصيله ثم العمل به، والتأليف فيه؛ ليدافع عن الحق والدين، وظهرت على الطبري في طفولته سمات النبوغ الفكري، وبدت عليه مخايل التفتح الحاد والذكاء الخارق والعقل المتقد، والملكات الممتازة، وأدرك والده ذلك فعمل على تنميتها وحرص على الإفادة والاستفادة منها؛ فوجَّهه إلى العلماء ومعاهد الدراسة، وساعده على استغلال كل هذه الطاقات دون أن يشغله بشيء من شئون الحياة ومطالبها،

وخصص له المال للإنفاق على العلم والتعلم، وسرعان ما حقق الطبري أحلام والده، وزاد له في آماله وطموحه. وقد حرص والده على إعانته على طلب العلم منذ صباه، ودفعه إلى تحصيله، فما كاد الصبي الصغير يبلغ السن التي تؤهله للتعليم، حتى قدمه والده إلى علماء آمل، وشاهدته دروب المدينة ذاهبًا آيبًا يتأبط دواته وقرطاسه. وسرعان ما تفتح عقله، وبدت عليه مخايل النبوغ والاجتهاد.

نَعِمَ الطبري بحسن التنشئة والرعاية منذ نعومة أظفاره ، وقد ذكر ذلك فقال عن نفسه::

" حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين ، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معي مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه ، فقال له المعبر : إنه إن كبر نصح في دينه ، وذبّ عن شريعته . فحرص أبي على معونتي على طلب العلم ، وأنا حينئذ صبي صغير "

رحلته في طلب العلم

وكان أول ما كتب الحديث ببلده ، ثم بالري وما جاورها ، ثم رحل إلى بغداد ثم البصرة فالكوفة ، ثم إلى فسطاط مصر ، ثم عاد إلى الشام ثم رجع إلى مصر ، ثم استقر به الحال في بغداد حتى توفي بها .

مذهبه:

أَخذ فقه الشَّافِعِي عَن الرّبيع الْمرَادِي ، وَالْحسن الزَّعْفَرَانِي ، حتى أصبح من كبار الشافعية ، ثم أصبح مجتهدًا مطلقًا ، فانفرد بمذهب مستقل لم يكتب له الدوام ، وذلك لذهاب مدوناته ، وتفرق أصحابه وأتباعه .

ملامح شخصية الإمام الطبري وأخلاقه:

تمتع الإمام الطبري رحمه الله تعالى بمواهب فطرية متميزة، جبله الله الكريم عليها، وتفضل عليه بها، كما حفلت حياته بمجموعة من الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة، والسيرة المشرفة؛ ومن هذه الصفات:

نبوغ الطبري وذكاؤه:

١- إن كثيرًا من صفات الإنسان تكون هبة من الله جل جلاله، وعطاءً مباركًا من الخالق البارئ، ولا دخل للإنسان فيها، والله يختص برحمته من يشاء، ويفضل بعض الناس على بعض، ويرزق المواهب الخاصة لمن يشاء من عباده. وكان الطبري -رحمه الله- موهوب الغرائز، وقد حباه الله تعالى بذكاء خارق، وعقل متقد، وذهن حاد، وحافظة نادرة، وهذا ما لاحظه فيه والده، فحرص على توجيهه إلى طلب العلم وهو صبي صغير، وخصص له موارد أرضه لينفقها على دراسته وسفره وتفرغه للعلم. ومما يدل على هذا الذكاء أنه رحمه الله حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وصلى بالناس وهو ابن ثماني سنين، وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين.

٢- حفظ الطبري وعلو همته في طلب العلم :

كان الطبري رحمه الله يتمتع بحافظة نادرة، ويجمع عدة علوم، ويحفظ موضوعاتها وأدلتها وشواهدها، وإن كُتُبه التي وصلتنا لأكبر دليل على ذلك، حتى قال عنه أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن المفلس: "والله إني لأظن أبا جعفر الطبري قد نسي مما حفظ إلى أن مات ما حفظه فلان طول عمره".

وكان له همة نادرة في التأليف وصبر على الدرس والتحصيل والكتابة لا تكاد أن ترى مثله بين علماء الأمة، حتى إنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، وكان يستخير الله -عز وجل- قبل أن يشرع في تأليف أي مصنف، ولم يكن في زمانه ولا بعده -على ما أظن- من له مثل همته العالية في التحصيل والتأليف، حتى إنه قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ قالوا: كم قدره؟ قال: نحو ثلاثين ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم، فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي التفسير قال لهم نحوًا من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ.

٣- ورع الطبري وزهده:

وهاتان الصفتان من فضائل الأخلاق، ومن أشد الصفات التي يجب أن يتحلى بها العالم والداعية، والمربِّي والإمام، وكان الطبري رحمه الله على جانبٍ كبير من الورع والزهد والحذر من الحرام، والبُعد عن مواطن الشُّبَه، واجتناب محارم الله تعالى، والخوف منه، والاقتصار في المعيشة على ما يَرِدُهُ من ريع أرضه وبستانه الذي خلَّفه له والده، قال عنه ابن كثير: "وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم،... وكان من كبار الصالحين"، وكان الطبري رحمه الله تعالى زاهدًا في الدنيا، غير مكترث بمتاعها ومفاتنها، وكان يكتفي بقليل القليل أثناء طلبه للعلم، وبما يقوم به أوده، ويمتنع عن قبول عطايا الملوك والحكام والأمراء.

٤- عفة الطبري وإباؤه:

وكان الطبري رحمه الله عفيف اللسان، يحفظه عن كل إيذاء؛ لأن فعل اللسان قد يتجاوز في بعض الأحيان السنان، ولأن جرح السيف قد يُشفى ويبرأ، ولكن هيهات أن يُشفى جرح اللسان. وكان الطبري متوقفًا عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات، وكان الطبري عفيف النفس ، فهو مع زهده لا يسأل أحدًا، مهما ضاقت به النوائب، ويعفُّ عن أموال الناس، ويترفع عن العطايا.

٥- تواضع الطبري وعفوه:

كان الطبري شديد التواضع لأصحابه وزواره وطلابه، دون أن يتكبر بمكانته، أو يتعالى بعلمه، أو يتعاظم على غيره، فكان يُدعى إلى الدعوة فيمضي إليها، ويُسأل في الوليمة فيجيب إليها، وكان رحمه الله لا يحمل الحقد والضغينة لأحد، وله نفس راضية، يتجاوز عمن أخطأ في حقه، ويعفو عمن أساء إليه، وكان رأس الحنابلة بالعراق أبا بكر محمد بن الحافظ أبي داود صاحب السنن، ولم يكن الرجل جديراً بهذا المنصب على الرغم من مواهبه وقدراته، ولكنه

نال الزعامة الشعبية لدى الحنابلة؛ لشهرة أبيه الحافظ الكبير أبي دواد والذي يعد من تلاميذ الإمام أحمد المقربين له.
كانت بين أبي بكر وبين الإمام ابن جرير الطبري مشاحنات وخلافات، وكلاهما لا ينصف الآخر، ووقع بينهما ما يقع بين الأقران في كل عصر ومكان، ولو وقف الخلاف بين الرجلين عند هذا الحد لكان الأمر هينًا يسيرًا؛ لتوافر أمثال هذه الخلافات في كل عصر، ولكن هذا الخلاف قد أخذ منحنىً جديدًا حتى تحول إلى محنة كبيرة للإمام ابن جرير الطبري.
فلما التقى الطبري مع محمد بن داود تجاوز عن كل ذلك، وأثنى على علم أبيه، ومع كل هذا التواضع، وسماحة النفس، والعفو والصفح، كان الطبري لا يسكت على باطل، ولا يمالئ في حق، ولا يساوم في عقيدة أو مبدأ؛ فكان يقول الحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ثابت الجنان، شجاع القلب، جريئًا في إعلان الصواب مهما لحق به من أذى الجهال، ومضايقة الحساد، وتخرصات الحاقدين.

آراء العلماء في الإمام الطبري:

قال عنه ياقوت الحموي: "أبو جعفر الطبري المحدِّث، الفقيه، المقرئ، المؤرِّخ، المعروف، المشهور".

قال أيضاً (إنّ قومًا من تلاميذ بن جرير أحصوا أيام حياته، منذ أن بلغ الحلم إلى أنْ توفي وهو ابن (٨٦)، ثم قسموا عليها أوراق المؤلفات التي كتبها، فوجدوا أنها (١٤) ورقة في كل يوم، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق).

قال عنه ابن خلّكان صاحب وفيات الأعلام: العالم المجتهد، عالم العصر صاحب التصانيف البديعة، كان ثقة صادقًا حافظًا، رأسًا في التفسير إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، علّامة في التاريخ وأيام الناس، عارفًا في القراءات واللغة وغيرها).

قال ابن كامل عن الطبري: (قد قسّم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ومصلحة دينه ومصلحة الخلق كما وفقه الله عزّوجل).

وقال الخطيب البغدادي: "كان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات كلها، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها: صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم...، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم".

وقال القفطي: "العالم الكامل، الفقيه، المقرئ، النحوي، اللغوي، الحافظ، الإخباري، جامع العلوم، لم يُرَ في فنونه مثله، وصنف التصانيف الكبار"

وقال عنه محمد بن إسحاق بن خزيمة: "ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير".

وقال ابن كثير: "كان أحد أئمة الإسلام علمًا وعملاً بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم".

وقال الإمام الذهبي: "الإمام الجليل، المفسر أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة... من كبار أئمة الإسلام المعتمدين". وقال عنه الذهبي أيضًا: "كان ثقة حافظًا صادقًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، عَلاَّمةً في التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات واللغة، وغير ذلك".

وقال عنه ابن تغري بردي: "وهو أحد أئمة العلم، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه، وكان متفننًا في علوم كثيرة، وكان واحد عصره".

المحامد الأربعة جياع

جمعت الرحلة بين محمد بن جرير ، ومحمد بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، وأضر بهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة في

منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على ابن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة . قال : فاندفع في الصلاة ، فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا ، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا ، فدفعها إليه ، ثم قال : وأيكم محمد بن جرير ؟ فأعطاه خمسين دينارا ، وكذلك للروياني ، وابن خزيمة ، ثم قال : إن الأمير كان قائلا بالأمس ، فرأى في المنام أن المحامد جياع قد طووا كشحهم ، فأنفذ إليكم هذه الصرر ، وأقسم عليكم : إذا نفدت ، فابعثوا إلي أحدكم .

آراء العلماء في مؤلفات الطبري:

احتل تفسير الطبري سويداء القلب عند العلماء على مر العصور في القديم والحديث، وحظي بالرعاية والعناية، وأثنى عليه الأئمة والعلماء والمؤرخون والمفسرون، وسطروا الجمل المذهبة حوله، وعلقوا عليه أوسمة الفخار.

قال عنه الإمام النووي: "لم يصنف أحد مثله".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وتفسير محمد بن جرير الطبري هو من أجلِّ التفاسير وأعظمها قدرًا...

وقال أيضًا: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي".

وقال مؤرِّخ الإسلام الذهبي: "وله كتاب التفسير، لم يصنف أحد مثله".

وقال عنه القفطي: "وصنف التصانيف الكبار، منها تفسير القرآن الذي لم يُرَ أكبر منه، ولا أكثر فوائد".

وقال السيوطي في الإتقان: "وكتابه أجلُّ التفاسير وأعظمها... فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك".

وقال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: "فكان جديرًا بالتفسير حين تناوله الطبري بتلك المشاركة الواسعة، وذلك التفنُّن العجيب أن يبلغ به أوجه، وأن يستقر على الصورة الكاملة التي تجلت فيها منهجيته، وبرزت بها خصائصه مسيطرة على كل ما ظهر من بعده من تآليف لا تحصى في التفسير".

وقال أبو حامد الإسفراييني الفقيه: "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصِّل تفسير ابن جرير، لم يكن كثيرًا".

محنة الإمام الطبري ووفاته :

تعرض الطبري لمحنة شديدة في أواخر حياته بسبب التعصب المذهبي ، إذ قد وقعت ضغائن ومشاحنات بين ابن جرير الطبري ورأس الحنابلة في بغداد : أبي بكر محمد بن أبي داود ، أفضت إلى اضطهاد الحنابلة لابن جرير ، وكان المذهب الحنبلي في هذه الفترة هو السائد على العراق عامة، وبغداد خاصة ، وتعصب العوام على ابن جرير ورموه بالتشيع وغالوا في ذلك . حتى منعوا الناس من الاجتماع به ، وظل محاصرًا في بيته حتى توفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال (٣١٠ هـ) ، ودفن في داره برحبة يعقوب – يعني : ببغداد - .

قال الخطيب:

"واجتمع عليه (حال الجنازة) من لا يحصيهم عددًا إلا الله، وصُلِّي على قبره عدة شهور ليلاً ونهارًا، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب".
وكان ذلك في يوم ٢٦ من شهر شوال سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م على الأرجح، في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، ودُفِن في داره الكائنة برحبة يعقوب ببغداد.

وينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام للذهبي، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح و معجم الأدباء لياقوت الحموي ، وتاريخ بغداد للخطيب ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، والبداية والنهاية لابن كثير، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكي

(وينظر حول محنة ابن جرير مع الحنابلة، وبراءته من تهمة التشيع: كتاب "أصول الدين عند الإمام الطبري" ، لطه مُحَمَّد نجا)

تنبيه : أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير بن رستم الطبري، فهو يشترك مع إمامنا في الكنية والاسم الأول واسم الأب، والنسبة والبلد، وسنة الوفاة، ويختلفان في اسم الجد.

وقال فيه ابن حجر: رافضيٌّ له تواليف منها "كتاب الرواة عن أهل البيت"، رماه بالرفض عبدالعزيز الكتاني.

وقد ذكره أبو الحسن بن بابويه في تاريخ الري بعد ترجمة مُحَمَّد بن جرير الإمام، فقال: هو الآملي، قدم الري وكان من جلَّة المتكلمين على مذهب المعتزلة، وله مصنفات.

واستظهر الحافظ أن نسبة مسح الرجلين لابن جرير هي بالأصل منسوبة لهذا الرافضي ابن رستم؛ لأنه مذهبهم.

وقد يظنّ بعض الباحثين أن كتاب "دلائل الإمامة" الموجود بمكتبتين بإيران: مكتبة رضا والمرعشي – هو للإمام أبي جعفر الطبري إمام المفسرين، وإنما هو للطبري الرافضي، ومن العجيب أن سنة وفاتهما واحدة في عام ٣١٠هـ.

مُقَدِّمَةٌ اَلطَّالِب وَالسَّنَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ، أَنْبَأَنَا جَدِّي أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ، أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ أَنْبَأَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الدَّيْنَوَرِيُّ، قَالَ: قُرِئَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ وَأَنَا أَسْمَعُ.

فيها مقدمة التلميذ بإثبات سند الرسالة لابن جرير وهو عرض الرسالة عليه وهو يسمع

وفيه الحرص على مجالس العلم وعلو السند والتلقي على الأشياخ

وفيه اتباع السنة في البداءة بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ فقد بدأ الله كتابه بالبسملة ، وقد كان رسول الله ﷺ يبدأ كتبه ورسائله للملوك ورؤساء القبائل والعشائر بالبسملة ومن ذلك كتابه إلى هرقل في الحديث المتفق عليه عند البخارى ومسلم (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم)

وفيها ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى

الله : وهو علم على الذات ولا يسمى به غيره ، وهو الله المألوه التى تألهه القلوب حباً وتعظيماً وانقياداً وخوفاً ورجاءً

الرحمن: اسم من أسماء الله ومنه صفة الرحمة العامة لجميع الخلق

الرحيم : بالمؤمنين رحمة خاصة ومنه كذلك صفة الرحمة

وأسماء الله كلها أوصاف لله تعالى وتشتق منها صفات له سبحانه فكل اسم يتضمن صفة كمال لله تعالى ،فاسم الرحمن منه صفة الرحمة ،واسم الحكيم منه الحكمة واسم العليم منه صفة العلم واسم السميع على صفة السمع واسم البصير منه صفة البصر وهكذا ، ولا يشتق من الصفات أسماء فمثلا صفة الغضب لا يشتق منها اسم الغاضب وهكذا

فأسماء الله نوعان :

خاصة : بالله تعالى لا يسمى بها غيره سبحانه مثل الله ،الرحمن ،الخالق ،ذو الجلال ،مالك الملك فمثل هذه الأسماء خاصة بالله تعالى

ومشتركة : أي يجوز للخلق أن يتسموا بها واذا أطلقت على الله فهى في غاية الكمال والحسن مثل ، الرؤوف الرحيم، العزيز الحكيم السميع البصير الحى ، فالمشابهة لا تعنى المماثلة ،مشابهة المخلوق في الاسم لا يعنى أنه مثله ونظيره وعدل له (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وفيه معنى الصلاة من الله وهى المدح والثناء عليه في الملأ الأعلى فمعنى اللهم صل على فلان أى اللهم أثن عليه وامدحه واذكره بالمدح والثناء عند الملائكة كما ثبت ذلك في صحيح البخارى (صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة) والصلاة من العباد هى بمعنى الدعاء .

وفيه جواز قول سيدنا محمد على خلاف من منع منه فقد صح عند الإمام أحمد والترمذي وبن ماجة قوله ﷺ (أنا سيد ولد أدم ولا فخر)

وفيه معنى الآل ،وهم ذريته وأتباعه على دينه ويدخل فيهم أهل بيته وأزواجه وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وهو أشمل وأعم

وفيه معنى قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأنها كنز من كنوز الجنة كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه عند البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى

وفيه معنى اسم الله العلى، وهو متضمن علو الذات فهو مستو على عرشه وعلو القدر والشأن والعظمة وعلو القهر والسلطان خلافاً للمبتدعة من الجهمية وغيرهم الذين قالوا بالحلول وأنه في كل مكان ، والذين نفوا الجهة وعلو الذات وقالوا ليس له مكان

ومن العجب أن الذين ينكرون علو الله وأنه في السماء مستو على العرش يقولون في سجودهم (سبحان ربي الأعلى)هذا من العجب !!!

وتعجب لهم عندما يتوجهون بالدعاء إلى الله ينظرون إلى السماء فهذه فطرة يجدونها في قلوبهم ونفوسهم ،ومع ذلك يعاندون الفطرة !!

وفيه معنى اسم الله العظيم ، وهو من الأسماء المشتركة التى يجوز أن يتسمى به غير الله

وفيه عرض الرسالة سماعاً على المؤلف في المجلس وهو يسمع

مقدمة المصنف الإمام محمد بن جرير صاحب التفسير والتاريخ الكبير

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفْلِجِ الْحَقِّ وَنَاصِرِهِ، وَمُدْحِضِ الْبَاطِلِ وَمَاحِقِهِ، الَّذِي اخْتَارَ الْإِسْلَامَ لِنَفْسِهِ دِينًا، فَأَمَرَ بِهِ وَأَحَاطَهُ، وَتَوَكَّلَ بِحِفْظِهِ وَضَمِنَ إِظْهَارَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ رُسُلًا ابْتَعَثَهُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ بِهِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَا نَابَهُمْ فِيهِ مِنْ جَهَلَةِ خَلْقِهِ، وَامْتَحَنَهُمْ مِنَ الْمِحَنِ بِصُنُوفٍ، وَابْتَلَاهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ بِضُرُوبٍ، تَكْرِيمًا لَهُمْ غَيْرَ تَذْلِيلٍ، وَتَشْرِيفًا غَيْرَ تَخْسِيرٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، فَكَانَ أَرْفَعَهُمْ عِنْدَهُ دَرَجَةً أَجَدُّهُمْ إِمْضَاءً مَعَ شِدَّةِ الْمِحَنِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ زُلْفًا، وَأَحْسَنُهُمْ إِنْفَاذًا لِمَا أَرْسَلَهُ بِهِ مَعَ عَظِيمِ الْبَلِيَّةِ.

فيها مشروعية البداءة بالحمد فقد افتتح الله كتابه بالحمد وكان رسول الله ﷺ يبدأ الصلاة بالحمد يجهر بها وكان يبدأ خطبه بالحمد تارة وبغيرها أخرى

وفيها تعريف الحمد وهو الثناء على المحمود بما هو أهله وبما حباه الله بصفات جُبِلَ عليها أو صفات اختيارية اكتسبها بالإيمان والطاعة ،كما ثبت في حديث أشج عبد القيس في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال له (إنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُما اللَّهُ: الحِلْمُ، والأناةُ).،والأشج اسمُه المُنذِرُ بنُ عائذٍ العَصَريِّ رَضيَ اللهُ عنه- وقد أخبره رسول الله ﷺ أنَّ فيه خَصلتَينِ يُحِبُّهما اللهُ ورسولُه: هُما الحِلمُ، أي: العقلُ مع الصَّبرِ، والأناةُ: وهي الرِّفقُ والتَّثبُّتُ في الأمورِ، فأثْنى رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عليه بالحِلمِ والأناةِ، وأخبَرَ بحُبِّ اللهِ ورسولِه لهُما. وهذه الصِّفاتُ الخُلُقيَّةُ قد تَكونُ جِبلِّيَّةً فِطريَّةً، وقد تَكونُ مُكتسَبَةً بالمِرانِ والمُمارَسةِ.

وفيه: بيانُ فضيلةِ الأشَجِّ عبدِ القيسِ رَضيَ اللهُ عنه لاتِّصافِه بالأخلاقِ الحَميدةِ.

وفيه: مَشروعيَّةُ الثَّناءِ على الإنسانِ في وجهِه إذا لم يخَف فتنةً وإعجابًا

وفيه: إثباتُ صِفةِ المَحبَّةِ للهِ تَعالَى على الوجه اللَّائقِ به سُبحانَه.

وفيها معنى الحمد لله أي أثنى على الله بما هو أهله مع الحب والإجلال والتعظيم

وفيها أن الله مفلج الحق وناصره أى مظهره ومبينه وموضحه بالحجة والبيان

وفيها معنى الحق وهو دين الله وما جاء عن الله في كتابه سبحانه ،وما جاء في سنة رسول الله ﷺ ، فالحق ما جاء في الوحيين ،وأعظم الحق هو التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له وإفراده سبحانه بالخلق والأمر والحكم والتشريع والانقياد والقبول لدينه جملة وعلى الغيب

وفيها أن الله ناصر الحق وأهله وعباده المؤمنين الموحدين المجاهدين الذين استقاموا على دينه وأخذوا بأسباب النصر والتمكين

وفيها أن الله مُدْحِضِ الْبَاطِلِ وَمَاحِقِهِ ،أى مزيله ومبطله ،فكما أنه سبحانه ناصر الحق وأهله فهو كذلك ماحق الباطل ومزيله ومبطله وغالب أهله وقاهرهم كما قال سبحانه (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الكافرون أهل الباطل ،فالله مزهق الباطل ودامغه(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)

وفى هذه المقدمة أيضاً معنى الإسلام وأن الله اختاره لنفسه بمعنى أنه اختار الإسلام لعباده وأمرهم به ورضيه لهم ، فلم يرضى لعباده الكفر شرعاً ، واختار لهم الإسلام ورضيه لهم ، ولم يقبل منهم سواه ،ففطرهم على التوحيد ٠

والإسلام هو الاستسلام لله والإنقياد له سبحانه وقبول شرعه وتوحيده وافراده وحده بالعبادة وعدم الإشراك به ،

وفيه بيان معنى الإسلام العام الذى جاءت به جميع الرسل ، والإسلام الخاص الذى هو العمل بشريعة محمد ﷺ

وفيها بيان الشرك والكفر وهو ضد الإسلام والإيمان ، فالمسلم مستسلم منقاد خاضع لله وحده ، والكافر مشرك مستكبر معرض متولٍ عن الطاعة

وفيها أن الله حافظ دينه ولم يجعل حفظ الإسلام لأحدٍ غيره حتى لا ينشغل المسلم بحفظه من التحريف والضياع والزوال ، فالله قد كفانا ذلك حتى ننشغل بما خلقنا له من توحيده ونشر دينه في الأرض

وفيها أن الرسالة اختيار واصطفاء واجتباء (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس)فاصطفى آدم ونوحا وآل عمران وجميع الأنبياء والرسل ، وكما يصطفى من عباده ويتخذهم شهداء تفضيلاً لهم

وفيها بيان أن الإمامة في الدين تنال بالصبر على الابتلاءات والمحن وباليقين بنصر الله وحسن الظن به

وفيها تفسير سورة العصر من الدعوة لدين الله والصبر على الأذى فيه وتحمل جهل الجاهلين وحماقة المغفلين وعناد الكافرين

وفيها أن أشد الناس بلاءً هم الأنبياء وأتباع الرسل الأمثل فالأمثل

وفيها أن كل من دعي إلى ما دعت إليه الأنبياء وسار على طريق الأنبياء سيصيبه مثل ما أصاب الأنبياء ولا بد

وفيها أن الابتلاء تشريف ورفع للدرجات

وفيها تفضيل الخلق بعضهم على بعض

وفيها أن علماء الحق ورثة الأنبياء

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} ، وَقَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَتْبَاعِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ، مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤] ، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ

أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} ، {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ. . . . .} [الأنفال: ٤٩] إِلَى {غُرُورًا} [النساء: ١٢٠]

وَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٣] .

وفيها أن الابتلاء سنة من سنن الله في خلقه

وفيها عاقبة الصبر والاحتساب عند المحن

فَلَمْ يُخْلِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحَدًا مِنْ مُكْرَمِي رُسُلِهِ، وَمُقَرَّبِي أَوْلِيَائِهِ مِنْ مِحْنَةٍ فِي عَاجِلَةٍ دُونَ آجِلَةٍ؛ لِيَسْتَوْجِبَ بِصَبْرِهِ عَلَيْهَا مِنْ رَبِّهِ مِنَ الْكَرَامَةِ مَا أَعَدَّ لَهُ، وَمِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْهِ مَا كَتَبَهُ لَهُ، ثُمَّ جَعَلَ تَعَالَى، جَلَّ وَعَلَا ذِكْرُهُ، عُلَمَاءَ كُلِّ أُمَّةِ نَبِيٍّ ابْتَعَثَهُ مِنْهُمْ وُرَّاثَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْقُوَّامَ بِالدِّينِ بَعْدَ اخْتِرَامِهِ إِلَيْهِ وَقَبْضِهِ، الذَّابِّينَ عَنْ عُرَاهُ وَأَسْبَابِهِ، وَالْحَامِينَ عَنْ أَعْلَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَالنَّاصِبِينَ دُونَهُ لِمَنْ بَغَاهُ وَحَادَّهُ، الدَّافِعِينَ عَنْهُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَضَلَالَهُ.

وفيه فضل العلماء وأنهم ورثة الأنبياء في العلم والدعوة

فَضَّلَهُمْ بِشَرَفِ الْعِلْمِ، وَكَرَّمَهُمْ بِوَقَارِ الْحِلْمِ، وَجَعَلَهُمْ لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ أَعْلَامًا، وَلِلْإِسْلَامِ وَالْهُدَى مَنَارًا، وَلِلْخَلْقِ قَادَةً، وَلِلْعِبَادِ أَئِمَّةً وَسَادَةً، إِلَيْهِمْ مَفْزَعُهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَبِهِمُ اسْتِغَاثَتُهُمْ عِنْدَ النَّائِبَةِ، لَا يُثْنِيهِمْ عِنْدَ التَّعَطُّفِ وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْهِمْ سُوءُ مَا هَمَّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يُوَلُّونَ، وَلَا تَصُدُّهُمْ عَنِ الرِّقَّةِ عَلَيْهِمْ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ قُبْحُ مَا إِلَيْهِ، مَا يَأْتُونَ مُحَرَّمًا مَنَعَهُمْ طَلَبُ جَزِيلِ ثَوَابِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتَوَخِّيًا طَلَبَ رِضَا اللَّهِ فِي الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ جَعَلَ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَذِكْرُهُ، عُلَمَاءَ أُمَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَاءِ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَتْ قَبْلَهَا فِيمَا كَانَ؛ قَسَمَ لَهُمْ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ وَالْمَرَاتِبِ وَالْكَرَامَاتِ فَشَمِلَ، وَأَجْزَلَ لَهُمْ فِيهِ حَظًّا وَنَصِيبًا، مَعَ ابْتِلَاءِ اللَّهِ أَفَاضِلَهَا بِمَنَافِعِهَا، وَامْتِحَانِهِ خِيَارَهَا بِشِرَارِهَا، وَرُفَعَائِهَا بِسِفْلِهَا وَضُعَاتِهَا فَلَمْ يَكُنْ يُثْنِيهِمْ مَا

كَانُوا بِهِ مِنْهُمْ يُبْتَلُونَ، وَلَا كَانَ يَصُدُّهُمْ مَا فِي اللَّهِ مِنْهُمْ يَلْقَوْنَ عَنِ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ، بَلْ كَانُوا بِعِلْمِهِمْ عَلَى جَهْلِهِمْ يَعُودُونَ، وَبِحِلْمِهِمْ لِسَفَهِهِمْ يَتَعَمَّدُونَ، وَبِفَضْلِهِمْ عَلَى نَقْصِهِمْ يَأْخُذُونَ، بَلْ كَانَ لَا يَرْضَى كَبِيرٌ مِنْهُمْ مَا أَزْلَفَهُ لِنَفْسِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِ ذَلِكَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَادَّخَرَ مِنْهُ مِنْ كَرِيمِ الذَّخَائِرِ لَدَيْهِ قَبْلَ مَمَاتِهِ، حَتَّى تَبْقَى لِمَنْ بَعْدَهُ آثَارًا عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً، وَلَهُمْ إِلَى الرَّشَادِ هَادِيَةً، جَزَاهُمُ اللَّهُ عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِمْ أَفْضَلَ مَا جَزَى عَالِمَ أُمَّةٍ عَنْهُمْ، وَحَبَاهُمْ مِنَ الثَّوَابِ أَجْزَلَ ثَوَابٍ، وَجَعَلَنَا مِمَّنْ قَسَمَ لَهُ مِنْ صَالِحِ مَا قَسَمَ لَهُمْ، وَأَلْحَقَنَا بِمَنَازِلِهِمْ، وَكَرَّمَنَا بِحُبِّهِمْ وَمَعْرِفَةِ حُقُوقِهِمْ، وَأَعَاذَنَا وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا مِنْ مُرْدِيَاتِ الْأَهْوَاءِ، وَمُضِلَّاتِ الْآرَاءِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وفيها فضل الصحابة وعلماء هذه الأمة وأنهم أفضل ممن سبقهم

وفيه أن العالم يعرف بعلمه ويشرف به ،وبتصدره للمعضلات وتحمل أذى الناس السفهاء والحمقى منهم

وفيه استحباب الدعاء للعلماء وأهل الفضل والتأسى بهم ومعرفة حقهم

ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مِنْ بَعْدِ مُضِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَبِيلِهِ حَوَادِثُ فِي كُلِّ دَهْرٍ تَحْدُثُ، وَنَوَازِلُ فِي كُلِّ عَصْرٍ تَنْزِلُ، يَفْزَعُ فِيهَا الْجَاهِلُ إِلَى الْعَالِمِ، فَيَكْشِفُ فِيهَا الْعَالِمُ سَدَفَ الظَّلَامِ عَنِ الْجَاهِلِ بِالْعِلْمِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، إِمَّا مِنْ أَثَرٍ وَإِمَّا مِنْ نَظَرٍ،

فيها جواز وقوع الاختلاف واختلاط الحق بالباطل والنور بالظلمة

وفيها معنى السُّدْفَة : الظلمةُ. و السُّدْفَة الطائفة من الليل. و السُّدْفَة اختلاط الضوء والظلمة معًا، كوقتِ ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار

وفيه تشبيه النوازل واختلاطها وعدم وضوح الصواب فيها بسدف الظلام

فيها أن العالم يحل الإشكال بالعلم الذى علمه الله والشرع وليس بالرأي

وفيه جواز الفزع إلى العلماء والرجوع إليهم في النوازل كما أمر الله

وفيه جواز الاستغاثة باللحى الحاضر القادر

وفيها فضيلة التمسك بالوحيين ،وتقديم النقل على العقل وأن العقل محكوم بالشرع لا يخرج ولا يستقل عنه

فَكَانَ مِنْ قَدِيمِ الْحَادِثَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَوَادِثِ الَّتِي تَنَازَعَتْ فِيهِ أُمَّتُهُ، وَاخْتِلَافُهَا فِي أَفْضَلِهِمْ بَعْدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْإِمَامَةِ، وَأَوْلَاهُمْ بِالْخِلَافَةِ.

ثُمَّ الْقَوْلُ فِي أَعْمَالِ الْعِبَادِ طَاعَتِهَا وَمَعَاصِيهَا، وَهَلْ هِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ أَمِ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ الْمُبْهَمِ مُفَوَّضٌ؟ .

ثُمَّ الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ هَلْ هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ أَمْ هُوَ قَوْلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ وَهَلْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ أَمْ لَا زِيَادَةَ لَهُ وَلَا نُقْصَانَ؟ .

ثُمَّ الْقَوْلُ فِي الْقُرْآنِ هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

ثُمَّ رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهَمْ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ الْقَوْلُ فِي أَلْفَاظِهِمْ بِالْقُرْآنِ.

ثُمَّ حَدَثَ فِي دَهْرِنَا هَذَا حَمَاقَاتٌ خَاضَ فِيهَا أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْغَبَاءِ وَنَوْكَى الْأُمَّةِ وَالرِّعَاعُ، يُتْعِبُ إِحْصَاؤُهَا، وَيُمَلُّ تَعْدَادُهَا، فِيهَا الْقَوْلُ فِي اسْمِ الشَّيْءِ أَهُوَ هُوَ أَمْ هُوَ غَيْرُهُ؟ وَنَحْنُ نُبَيِّنُ الصَّوَابَ لَدَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وفيه ذكر الحوادث بعد النبي ﷺ إلى زمن المؤلف وذكر منها

أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ والأحق بالإمامة والأولى بالخلافة

أبو بكر الصديق عبد الله بن قحافة ،ثم من بعده الفاروق عمر بن الخطاب ، ثم ثالثهم ذو النورين عثمان بن عفان ،ثم رابعهم أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ،وسيأتى شرح تلك المسائل إن شاء الله تعالى

وفيه ذكر البدع والأهواء التى وقعت في زمن المؤلف وذكر منها

وفيه الفرق بين الاختلاف المبنى على أصل وبين الهوى والحماقات

وفيها أن أهل الجهل والغباء وحمقى الأمة والدهماء من رعاع الناس وعامتهم هم أسرع الناس في الخوض والوقوع في الفتن

وفيها وجوب بيان الحق الذى يعتقده العالم نصحاً للأمة

الْقَوْلُ فِي الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ

فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِالْقَوْلِ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَنَا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ؛ إِذْ كَانَ مِنْ مَعَانِي تَوْحِيدِهِ، فَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُ: كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَيْفَ كُتِبَ وَحَيْثُ تُلِيَ وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ قُرِئَ، فِي السَّمَاءِ وُجِدَ، وَفِي الْأَرْضِ حَيْثُ حُفِظَ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَانَ مَكْتُوبًا، وَفِي أَلْوَاحِ صِبْيَانِ الْكَتَاتِيبِ مَرْسُومًا، فِي حَجَرٍ نُقِشَ، أَوْ فِي وَرَقٍ خُطَّ، أَوْ فِي الْقَلْبِ حُفِظَ، وَبِلِسَانٍ لُفِظَ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ أَوِ ادَّعَى أَنَّ قُرْآنًا فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ سِوَى الْقُرْآنِ الَّذِي نَتْلُوهُ بِأَلْسِنَتِنَا وَنَكْتُبُهُ فِي مَصَاحِفِنَا، أَوِ اعْتَقَدَ غَيْرَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ، أَوْ أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِهِ، أَوْ قَالَهُ بِلِسَانِهِ دَائِنًا بِهِ، فَهُوَ بِاللَّهِ كَافِرٌ، حَلَالُ الدَّمِ، بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ، بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج: ٢٢] ، وَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - عَزَّ وَجَلَّ -: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦] .

فَأَخْبَرَ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَنَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَكْتُوبٌ، وَأَنَّهُ مِنْ لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْمُوعٌ، وَهُوَ قُرْآنٌ وَاحِدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْمُوعٌ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَكْتُوبٌ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي الصُّدُورِ مَحْفُوظٌ، وَبِأَلْسُنِ الشُّيُوخِ وَالشَّبَابِ مَتْلُوٌّ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَمَنْ رَوَى عَنَّا، أَوْ حَكَى عَنَّا، أَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا، فَادَّعَى أَنَّا قُلْنَا غَيْرَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ، وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِيْنِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا قَبِلَ اللَّهُ لَهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَهَتَكَ سِتْرَهُ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ، وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا مَعْبَدٌ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنِ الْقُرْآنِ: مَخْلُوقٌ أَوْ خَالِقٌ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْأَمُلِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَمُلِيُّ أَبُو مَرْوَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ، يَقُولُ: أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ»

الشرح

بدأ الإمام الطبري رحمه الله تعالى بقول ما يعتقده في القرأن وهو الصواب الذى عليه أهل السنة والجماعة وأنه :-

كلام الله تكلم به على الحقيقة بحرف وصوت وأنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام وبين فيه معانى توحيده وعرف نفسه لخلقه فيه

والقرآن كلام الله غير مخلوق فالمكتوب في المصاحف هو كلام الله

والذى يتلى من الناس ويقرأ من القراء في السماء أو في الأرض أوفى اللوح المحفوظ أو الذى يكتبه الصبيان في الكتاتيب وحلقات التحفيظ على الورق أو ينقشونه على الحجر أو يحفظونه في صدورهم وقلوبهم ويتلفظون به بألسنتهم ،كل هذا محفوظ بحفظ الله تكفل الله بحفظه سبحانه وهو كلام الله تعالى غير مخلوق منه شيء وهو من عند الله لفظاً ومعنى

فمن قال غير هذا واعتقد بقلبه أو أسره في نفسه أو جهر به بلسانه قاصداً ما يقول عالما بما يقول أو ادعى أن هناك قرأناً غير الذى يعرفه أهل الإسلام كما يدعى الروافض - قبحهم الله – فهو كافر بالله مرتد حلال الدم لجحده وإنكاره وتكذيبه ، وهذا خلافاً لمن لم يجحد ولم ينكر ولم يكذب ،بل أقر واعترف وصدق بصفات الله ولكنه تأول بعضها بتأويل سائغ أو وقعت له شبهات وتعارضت عنده أدلة فهو يحتاج إلى من يكشفها ويبينها له ويقيم عليه الحجة ويزيل عنه الشبهة فإن أصر بعد البيان فهو معاند برئ من الله ، والله منه برئ قد خرج من الإسلام وفارق أهل الإيمان

ومن قال أن القرآن مخلوق فهو كافر بالعموم يطلق القول بتكفيره كما أطلقه علماء أهل السنة ، أما المعين الذى تأول فلا يكفر حتى تقام عليه الحجة وتزول عنه الشبهة ، وقد فصلت تلك المسألة في كتاب – كفر

الجهمية وضلال الأشاعرة – وكتاب إكفار المتأولين - وكذلك في شرح كتاب رفع الملام – وفى شرح مقدمة التوحيد)فلا داعى لتكرار ما قلناه هناك حتى لا نطيل في شرح هذه الرسالة

والمعتزلة يقولون أن القرآن كلام الله مخلوق لفظاً ومعنى

والأشاعرة ومن وافقهم يقولون كلام الله هو المعنى فقط أما الحروف واللفظ فليست كلام الله وهى مخلوقة

لذلك يقولون أنه كلام نفسي ليس بحرف ولا صوت

لذلك بعض غلاة الأشاعرة لا مانع عنده أن يطأ الإنسان المصحف بقدمه لأنه ليس كلام الله وهذا تأويل فاسد يفضى إلى عدم صون جناب كلام الله

الأدلة على أن القرأن كلام الله

قال الله تعالى مبيناً أن القرأن كلامه سبحانه تكلم به بحرف وصوت لفظاً ومعنى منه ﴿۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة ٧٥]

وقال سبحانه ﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الفتح ١٥]

وقال تعالى ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة ٦]

وقال ﷻ ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة ٢٥٣]

وقال الله ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء ١٦٤]

وقال تعالى ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٤٤]

وقال رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه وصح عند النسائي والإمام أحمد وبن تيمية (خيرُ الكلامِ كلامُ اللهِ وخيرُ الهَدْيِ هديُ محمدٍ وشرُ الأمورِ محدثاتُها، وكلُ بدعةٍ ضلالةٌ.)

وقد فسر الإمام الطبري رحمه الله هذه الآيات في تفسيره على أصول أهل السنة والجماعة وأثبت أن القرآن كلام الله غير مخلوق وهذا يوافق ما كتبه هنا في رسالته صريح السنة ،ويقصد بها السنة الخالصة الصحيحة التى لاشك ولا التباس في ثبوتها والشيء الواضح البين المستقيم الذى لا لبس فيه ولا غموض

فكما ترى أدلة القرأن والسنة الصحيحة تدل دلالة واضحة على أن

(القُرْآنُ كلامُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ حقيقةً حُروفُه ومعانيه، ليس كلامُه الحروفَ دون المعاني، ولا المعاني دون الحُروفِ، تكَلَّم اللهُ به قولًا وأنزله على نبيِّه وحيًا، وآمن به المُؤمِنون حقًّا، فهو وإن خُطَّ بالبَنانِ، وتُلِيَ باللسانِ، وحُفِظَ بالجَنانِ، وسُمِع بالآذانِ، وأبصرَتْه العينانِ؛ لا يُخرِجُه ذلك عن كونِه كلامَ الرَّحمنِ، فالأنامِلُ والمِدادُ والأقلامُ والأوراقُ مخلوقةٌ، والمكتوبُ بها غَيرُ مَخلوقٍ، والألسُنُ والأصواتُ مخلوقةٌ، والمتلوُّ بها على اختلافِها غَيرُ مَخلوقٍ، والصُّدورُ مخلوقةٌ، والمحفوظُ فيها غَيرُ مَخلوقٍ، والأسماعُ مخلوقةٌ، والمسموعُ غَيرُ مَخلوقٍ

قال اللهُ تعالى{ :إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ)الواقعة

وقال تعالى :(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) العنكبوت.

وقال تعالى :(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) الكهف

وقال تعالى :(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)التوبة

...ومن قال: القُرْآنُ أو شيءٌ من القُرْآن مخلوقٌ، فهو كافِرٌ كُفرًا أكبَرَ يخرِجُه من الإسلامِ بالكُلِّيَّةِ؛ لأنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ تعالى، منه بدأ وإليه يعودُ، وكلامُه صِفَتُه، ومن قال: شَيءٌ من صفاتِ اللهِ مخلوقٌ، فهو كافِرٌ مُرتَدٌّ يُعرَضُ عليه الرُّجوعُ إلى

الإسلامِ، فإن رجع وإلَّا قُتِل كُفرًا، ليس له شيءٌ من أحكامِ المُسلِمين (ينظر أعلام السنة المنشورة ومعارج القبول للشيخ حافظ الحكمى رحمه الله)

وفيه جواز اللعن بالعموم وهو على ثلاثة أنواع(قد فصلناها في كتاب حكم لعن المعين)وكتاب (تكفير المعين ضوابط وشروط)

١-اللعن من الله وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله

٢-اللعن من رسول الله ﷺ وهو الدعاء على الفاعل لعن الله شارب الخمر

٣-اللعن من الناس بعضهم على بعض وهو الشتم والسب

وربما يقول قائل لو أن الإمام الطبري دعا لمن تقول عليه وظلمه بالهداية لكان أولى !

وهو قول معتبر لكن الذى يقف على محنة الإمام الطبري وما جرى عليه وحصل له يجد له عذراً في دعائه على من ظلمه وتقَوَل عليه وحصره في بيته حتى مات محاصراً في بيته رحمه الله تعالى وغفر له .

وفيه أن هذه العقيدة متواترة منقولة بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القران كلام الله غير مخلوق تكلم الله به على الحقيقة لا المجاز بحرف وصوت منه بدأ أى تكلم به الله ، وإليه يعود في أخر الزمان قبل قيام الساعة زمن العلامات الكبرى سيرفعه الله من الأرض ومن الصدور حتى لا يبقى منه آية وعلى شرار الخلق تقوم الساعة نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة على التوحيد والسنة .

مسألة : هل يجوز الحلف بالمصحف أو عليه ؟

الحلف والقسم لا يجوز إلا بالله تعالى أو صفة من صفاته ، فإذا حلف الإنسان بالله سبحانه وتعالى فإنه لا حاجة إلى أن يأتي بالمصحف ليحلف عليه ، فالحلف على المصحف لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة ، حتى بعد تدوين المصحف ؛ لم يكونوا يحلفون على المصحف ، بل يحلف الإنسان بالله سبحانه وتعالى بدون أن يكون ذلك على المصحف، فلا تنعقد اليمين إلا إذا كانت باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته . فلأولى ألا يحلف الإنسان بالمصحف ، لأن

المصحف فيه كلام الله ، وفيه المداد والورق ،ويجوز له أن يحلف بالقرآن لأنه كلام الله وصفة من صفاته

الْقَوْلُ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

١٧ - وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهَمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ بِهِ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَهُوَ: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَهُ عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١٨ - حَدَّثَنَا أَبُو السَّائِبِ سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، وَحَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ الْمُنْتَصِرِ، وَمُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ تَمِيمٌ: أَنْبَأَنَا يَزِيدُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، وَمَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ رَاءُونَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} [ق: ٣٩] . وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِحَدِيثِ مُجَاهِدٍ، قَالَ يَزِيدُ: مَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. حَلَفَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَأَقُولُ أَنَا: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَدَقَ يَزِيدُ وَقَالَ الْحَقَّ

الشرح

هذه هى المسألة الثانية من مسائل رسالة صريح السنة وهى إثبات أن المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة (وقد فصلنا هذه المسألة في كتاب رؤية المؤمنين لربهم في الجنة) وهذه هى عقيدة أهل السنة والجماعة كما قررها الإمام الطبرى رحمه الله خلافا للمبتدعة الذين يخالفون ماجاء في القرآن والسنة تأولاً وصرفاً للنصوص عن ظاهرها وما دلت عليه

فأهلُ السُّنَّة والجماعةِ يُؤمِنونَ أنَّ المُؤمنينَ يرَوْنَ ربَّهم عِيانًا يومَ القيامةِ، وهذا ثابتٌ بالكِتابِ والسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِن الكِتابِ:

١- قولُه تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة: ٢٢-٢٣] .

٢- قوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ [يونس: ٢٦] .

الدَّلِيلُ من السُّنَّةِ:

١- حديثُ جَريرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه في الصحيحين أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قَال: ((إنَّكم سترَوْنَ ربَّكم عِيانًا، كما ترَوْنَ القمرَ ليلةَ البَدْرِ، لا تُضامُّونَ أي: لا تُزاحمون في رؤيتِه...)) .

٢- حديثُ صُهَيبٍ رَضِيَ اللهُ عنه في صحيح مسلم مرفوعًا: ((إذا دخَل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، يَقولُ اللهُ تبارَك وتعالى: تُريدونَ شيئًا أَزيدُكم؟ فيَقولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهَنا؟ أَلَمْ تُدخِلْنا الجنَّةَ وتُنَجِّنا مِن النَّارِ؟ قال: فيكشِفُ الحجابَ، فما أُعطُوا شيئًا أحَبَّ إليهم مِن النَّظَرِ إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ، ثمَّ تلا هذه الآيةَ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)) .

قال أشهَبُ بنُ عبد العزيز: (قال رجلٌ لمالكٍ: يا أبا عبدِ اللهِ، هل يرى المؤمِنون رَبَّهم يومَ القيامةِ؟ قال: لو لم يَرَ المؤمِنون رَبَّهم يومَ القيامةِ لم يُعَيِّرِ اللهُ الكُفَّارَ بالحِجابِ، فقال كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [المطففين: ١٥]) وفي روايةٍ: فقال له: يا أبا عبدِ اللهِ، فإنَّ قومًا يَزعُمون أنَّ اللهَ لا يُرى؟ قال مالِكٌ: (السَّيفُ السَّيفُ) .

وقال ابنُ وَهبٍ: (سمعتُ مالِكَ بنَ أنسٍ يقولُ: النَّاظِرون يَنظُرون إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ يومَ القيامةِ بأعيُنِهم) .

وقال الشَّافِعيُّ: (للهِ تبارَك وتعالى أسماءٌ وصِفاتٌ، جاء بها كِتابه، وأخبَرَ بها نبيُّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمَّتَه... وأنَّ المُؤمنين يرَوْنَ ربَّهم يومَ القيامةِ بأبصارِهم كما يرَوْنَ القمَرَ ليلةَ البَدْرِ...) .

وقال الرَّبيعُ بنُ سُلَيمانَ: حَضَرتُ محمَّدَ بنَ إدريسَ الشَّافعيَّ، وقد جاءَته رُقعةٌ مِنَ الصَّعيدِ فيها: ما تقولُ في قَولِ اللهِ تبارك وتعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [المطففين: ١٥] ، قال الشَّافعيُّ: (فلمَّا أن حَجَبوا

هؤلاء في السَّخَطِ كان في هذا دَليلٌ على أنَّهم يَرَونَه في الرِّضا). قال الرَّبيع: قلتُ: يا أبا عبدِ اللهِ، وبه تقولُ؟ قال: (نعم، وبه أدينُ اللهَ، لو لم يوقِنْ محمَّدُ بنُ إدريسَ أنَّه يرى اللهَ لَمَا عَبَد اللهَ تعالى!) .

وقال أحمدُ بنُ حَنبَلٍ: (الإيمانُ بالرُّؤيةِ يومَ القيامةِ كما رُوِيَ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من الأحاديثِ الصِّحاحِ) .

وقال أبو داودَ: (سَمِعتُ أحمدَ وذُكِرَ له عن رجُلٍ شَيءٌ في الرُّؤيةِ، فغَضِبَ، وقال: من قال: إنَّ اللهَ لا يُرى، فهو كافِرٌ) .

وقال أبو زُرعةَ وأبو حاتمٍ الرازيَّانِ: (أدرَكْنا العُلَماءَ في جميعِ الأمصارِ حِجازًا وعِراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مَذهَبِهم:... أنَّه -تبارك وتعالى- يُرى في الآخِرةِ؛ يراه أهلُ الجَنَّةِ بأبصارِهم، ويَسمَعونَ كلامَه كيف شاء، وكما شاء) .

وقال أبو الحسَنِ الأشعريُّ: (أجمَعوا على أنَّ المُؤمنينَ يرَوْنَ اللهَ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ بأعيُنِ وجوهِهم، على ما أخبَرَ به تعالى في قولِه تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة: ٢٢-٢٣] ، وقد بيَّنَ معنى ذلك النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ودفَعَ إشكالَه فيه، بقَولِه للمُؤمنينَ: ((ترَوْنَ ربَّكم عِيانًا)) ، وقَولُه: ((ترَوْنَ ربَّكم يومَ القيامةِ كما ترَوْنَ القمَرَ، لا تُضامُونَ في رؤيتِه)) ، فبيَّنَ أنَّ رؤيتَه تعالى بأعيُنِ الوجوهِ) .

وقال ابنُ حِبَّان البستي: (قَولُه: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ [الأنعام: ١٠٣] ، فإنَّما معناه: لا تُدرِكُه الأبصارُ، يُرى في القيامةِ ولا تُدرِكُه الأبصارُ إذا رأَتْه؛ لأنَّ الإدراكَ هو الإحاطةُ، والرُّؤيةَ هي النَّظَرُ، واللهُ يُرى ولا يُدرَكُ كُنْهُه)
وقال ابنُ أبي زيد القيروانيُّ: (ممَّا أجمعَت عليه الأئمَّةُ مِن أمورِ الدِّيانةِ، ومِنَ السُّنَنِ التي خلافُها بِدعةٌ وضَلالةٌ... أنَّ اللهَ سُبحانَه يراه أولياؤُه في المعادِ بأبصارِ وُجوهِهم لا يُضامُّونَ في رؤيتِه، كما قال عزَّ وجَلَّ في كتابِه وعلى لسانِ نبيِّه... وكُلُّ ما قَدَّمْنا ذِكْرَه فهو قَولُ أهلِ السُّنَّةِ وأئمَّةِ النَّاسِ في الفِقهِ والحديثِ على ما بَيَّنَّاه، وكُلُّه قَولُ مالكٍ؛ فمنه منصوصٌ مِن قَولِه، ومنه معلومٌ مِن مَذهَبِه) .

وقال أبو عثمانَ الصابونيُّ: (يَشهَدُ أهلُ السُّنَّةِ أنَّ المؤمنينَ يَرَونَ رَبَّهم تبارك وتعالى بأبصارِهم، ويَنظُرون إليه) .

وقال أبو الفَرَجِ الشِّيرازي المقْدِسي: (اللهُ تعالى يُرى في القيامةِ؛ يراه المؤمِنون، ويُحجَبُ عنه الكافِرونَ) .

وقال السَّمعانيُّ: قَولُه: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ هو النَّظَرُ إلى اللهِ تعالى بالأعيُنِ، وهو ثابِتٌ للمُؤمِنينَ في الجنَّةِ بوَعدِ اللهِ تعالى وبخَبَرِ الرَّسولِ) .

وقال البَغَويُّ: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ قال ابنُ عبَّاسٍ وأكثَرُ النَّاسِ: تنظُرُ إلى رَبِّها عِيانًا بلا حِجابٍ) .

وقال ابنُ كثيرٍ: (قد ثَبَتَت رؤيةُ المؤمِنينَ للهِ عَزَّ وجَلَّ في الدَّارِ الآخِرةِ في الأحاديثِ الصِّحاحِ، مِن طُرُقٍ مُتواترةٍ عند أئمَّةِ الحديثِ، لا يمكِنُ دَفعُها ولا مَنْعُها) .

وقال علي القاري: (أفضَلُ نعيمِ الجَنَّةِ رُؤيةُ وَجْهِه وسَماعُ كَلامِه، فإنكارُ ذلك إنكارٌ لروحِ الجنَّةِ الذي ما طابت لأهلِها إلَّا به، كما أنَّ أشَدَّ العَذابِ للكُفَّارِ عَدَمُ تكليمِه لهم ووقوعُ الحِجابِ، كما أخبَرَ عنهم بقَولِه تعالى: وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [البقرة: ١٧٤] أي: تكليمَ تكريمٍ، وقال في آيةٍ أُخرى لهم: اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ [المؤمنون: ١٠٨] ، وبقَولِه تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [المطففين: ١٥]) .

وقال الشَّوكانيُّ: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة: ٢٣] هذا من النَّظَرِ، أي: إلى خالِقِها ومالِكِ أمْرِها ناظِرةٌ، أي: تَنظُرُ إليه، هكذا قال جمهورُ أهلِ العِلمِ، والمرادُ به ما تواتَرَت به الأحاديثُ الصَّحيحةُ من أنَّ العِبادَ يَنظُرون رَبَّهم يومَ القيامةِ كما يَنظُرونَ إلى القَمرِ ليلةَ البَدْرِ. قال ابنُ كثيرٍ: وهذا بحَمْدِ اللهِ مُجمَعٌ عليه بيْن الصَّحابةِ والتَّابعينَ وسلَفِ هذه الأمَّةِ، كما هو مُتَّفَقٌ عليه بيْن أئمَّةِ الإسلامِ وهُداةِ الأنامِ)(ينظر الموسوعة العقدية)

وخالف أهل السنة في الرؤية ،الجهمية والمعتزلة ، والأشاعرة قالوا يرونه من غير جهة وهذا اضطراب على مذهبهم في تأويل صفة العلو والفوقية لله تعالى .

الْقَوْلُ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ

- وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ لَدَيْنَا فِيمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَحَسَنَاتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ: فَإِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُقَدِّرُهُ وَمُدَبِّرُهُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ كَمَا يُرِيدُ

الشرح

هذه هى المسألة الثالثة من مسائل صريح السنة ،والإمام الطبري رحمه الله قرر فيها عقيدته وأنها هى الصواب الذى عليه أهل السنة والجماعة وأن الله سبحانه وتعالى خلق الكون بما فيه وخلق أفعال العباد قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة ،ومسألة القدر ومراتبه تكلمنا عليها مراراً أثناء شرحنا لكتب التوحيد ورسائل السنة وأن للقدر مراتب منها مرتبة الخلق فالله خلق الخلق وما يعملون والدليل على أن الله خلق أفعال العباد

قال اللهُ تعالى: (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [الرعد: ١٦] .

وقال سُبحانَه: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر: ٦٢] .

وقال اللهُ عزَّ وجَلَّ: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [غافر: ٦٢] .

وقال اللهُ تعالى حكايةً لقَولِ إبراهيمَ عليه السَّلام لقَومِه: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات: ٩٥-٩٦] .

وصح عند بن منده ، والحاكم، والبيهقي وهوعلى شرط مسلم ، قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّ اللهَ يصنَعُ كُلَّ صانعٍ وصَنْعَتَه)) وفي لفظٍ: ((إنَّ اللهَ خالقُ كلِّ صانعٍ وصَنعَتِه)).

قال البخاري في كتابه خلق أفعال العباد : (فأخبر أنَّ الصناعاتِ وأهلَها مخلوقةٌ)

قال ابنُ تيميَّةَ: (أفعالُ العِبادِ مَخلوقةٌ باتِّفاقِ سَلَفِ الأُمَّة وأئِمَّتها، كما نَصَّ على ذلك سائِرُ أئمَّةِ الإسلامِ: الإمامُ أحمدُ ومَن قَبلَه وبَعدَه حتى قال

بعضُهم: من قال: إنَّ أفعالَ العِبادِ غيرُ مخلوقةٍ، فهو بمنزلةِ من قال: إنَّ السماءَ والأرضَ غيرُ مخلوقةٍ)

وقال أيضا (وممَّا اتَّفَق عليه سَلَفُ الأُمَّةِ وأئمَّتُها مع إيمانهم بالقَضاءِ والقَدَرِ وأنَّ اللهَ خالِقُ كُلِّ شيءٍ، وأنَّه ما شاء كان وما لم يشَأْ لم يكُنْ، وأنَّه يُضِلُّ من يشاءُ ويهدي من يشاءُ: أنَّ العِبادَ لهم مشيئةٌ وقُدرةٌ يفعلون بمشيئتِهم وقُدرتِهم ما أقدَرَهم اللهُ عليه مع قَولِهم: إنَّ العبادَ لا يشاؤونَ إلَّا أن يشاءَ اللهُ. كما قال اللهُ تعالى: كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [المدثر: ٥٤ - ٥٦] الآية. وقال تعالى: إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا [الإنسان: ٢٩، ٣٠]، وقال: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [التكوير: ٢٧ - ٢٩]، والقرآنُ قد أخبر بأنَّ العبادَ يُؤمِنون ويَكفُرون ويفعلون ويَعمَلون ويَكسِبون ويُطيعون ويَعصُون ويُقيمون الصَّلاةَ ويُؤتون الزكاةَ ويحُجُّون ويعتَمِرون ويقتُلون ويَزنون ويَسرِقون ويَصدُقون ويَكذِبون ويأكُلون ويَشرَبون ويقاتِلون ويحارِبون، فلم يكُنْ من السَّلَفِ والأئمَّةِ من يقولُ: إنَّ العبدَ ليس بفاعلٍ ولا مختارٍ ولا مُريدٍ ولا قادرٍ، ولا قال أحدٌ منهم: إنَّه فاعِلٌ مجازًا، بل من تكلَّم منهم بلفظِ الحقيقةِ والمجازِ مُتَّفِقون على أنَّ العبدَ فاعِلٌ حقيقةً، واللهُ تعالى خالِقُ ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه. وأوَّلُ من ظَهَر عنه إنكارُ ذلك هو الجَهمُ بنُ صَفوانَ وأتباعُه، فحُكِيَ عنهم أنهم قالوا: إنَّ العبدَ مجبورٌ وإنَّه لا فِعْلَ له أصلًا وليس بقادرٍ أصلًا) يُنظر: (مجموع الفتاوى ٨/ ٤٠٦ ــ ٤٥٩).

الإيمان بالقدر

- حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ يَحْيَى الْحَسَّانِيُّ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ» . اللَّفْظُ لِحَدِيثِ أَبِي الْخَطَّابِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بن يحيي

- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»

الشرح

هذه هى المسألة الرابعة من مسائل هذه الرسالة الإيمان بالقدر

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان ،والحديث الذى ساقه المصنف رحمه الله حديث ضعيف ،ضعفه أهل العلم ،والحديث الذى أصح منه حديث عمر رضى الله عنه وهو في الصحيحين مطولاً حديث جبريل عليه السلام عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال ﷺ (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)

والقدر له مراتب أربعة العلم والخلق والكتابة والمشيئة

فالله علم بالأشياء قبل أن يخلقها لأن علم الله محيط لايسبقه جهل ولا تخفى عليه خافية في السماء والأرض

ثم خلقها فالله خالق كل شيء وقد مر معنا تفصيل ذلك عند مسألة خلق أفعال العباد

ثم كتبها في اللوح المحفوظ وحفظها سبحانه وتعالى

ثم شاءها وأرادها كوناً وشرعاً فلا يقع شيء في الكون إلا بعلمه وارادته ومشيئته سبحانه

وخالف أهل السنة في الإيمان بالقدر القدرية والجبرية

والقدرية هم مجوسُ هذه الأمَّةِ؛ لأنَّ مَذهَبَهم يضاهي مَذهَبَ المجوسِ في قَولِهم بالأصلَينِ: النُّورِ والظُّلمةِ، فهم يزعمون أنَّ الخيرَ مِن فِعلِ النُّورِ، والشَّرَّ مِن فِعلِ الظُّلمةِ، فصاروا ثَنَوِيَّة، وكذلك القَدَريةُ يضيفون الخيرَ إلى اللهِ تعالى، والشَّرَّ إلى غيرِه، واللهُ سُبحانَه وتعالى خالِقُ الخيرِ والشَّرِّ جميعًا، لا يكونُ شيءٌ منهما إلَّا بمشيئتِه، فهما مضافان إليه سُبحانَه وتعالى خَلْقًا وإيجادًا، وإلى الفاعِلينَ لهما من عبادِه فِعلًا واكتِسابًا

القَدَريَّةِ نُفاةِ القَدَرِ؛ فإنَّ القَدَريَّة إنما نُسِبوا إلى القَدَرِ لنَفْيِهم إيَّاه

والجبرية نفاة فعل العبد و أنَّ العَبدَ مجبورٌ على أفعالِه، لا مشيئةَ له فيها ولا اختيارَ، وأنَّ أفعالَه كُلَّها اضطرارية كالريشة في مهب الريح

والجهمية والمعتزلة من أكثر الفرق التى جمعت بين الجبر والقدر والإرجاء ،لأن أصولهم مبتدعة بناها أهل البدع على افكارهم وهواهم كالجهم بن صفوان ومعبد الجهنى وغيلان الدمشقى وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ولم يتقيدوا بما جاء في الكتاب والسنة وعمل الصحابة رضى الله عنهم .

الْقَوْلُ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- وَأَمَّا الْحَقُّ فِي اخْتِلَافِهِمْ فِي أَفْضَلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَا جَاءَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَتَابَعَ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ السَّلَفُ وَذَلِكَ

- مَا حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ سَيَّارٍ الرَّمَادِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أَصْحَابِي، وَفِي أَصْحَابِي كُلِّهِمْ خَيْرٌ، وَاخْتَارَ أُمَّتِي عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَاخْتَارَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَةَ قُرُونٍ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِي، الْقَرْنَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ تَتْرَى، وَالْقَرْنَ الرَّابِعَ فَرْدًا» .

هذه هى المسألة الخامسة مذهب أهل السنة في الصحابة رضى الله عنهم

وهذا الحديث الذى استدل به المؤلف حديث ضعيف ضعفه أهل العلم كابن عساكر في تاريخ دمشق لضعف عبد الله بن صالح أبو صالح

وكذلك في متنه نكارة ومخالفة للأحاديث الصحيحة التى تدل على أن القرون المفضلة ثلاثة وليست ـ أربعة أو خمسة قرون كحديث عمران بن حصين المتفق على صحته عند البخارى ومسلم (خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)

والصحابي هو الذى لقى النبي ﷺ وأمن به ومات على ذلك

وجيل الصحابة جيل قرأني فريد لن يتكرر ويكفى في فضلهم ومنزلتهم أن الله اختارهم واصطفاهم لحمل دينه وصحبة نبيه ،فزكاهم ورضى عنهم وأثنى عليهم ومدحهم وذكر فضائلهم وفضلهم فهم أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ وجعل ذلك قرأنا يتلى ليوم القيامة فمن ذلك

قوله سبحانه (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الفتح: ٢٩

وقوله (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة: ١٠٠

قال الله عزَّ وجَلَّ: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ [الحجرات: ٧] .

وقد شهد الله لهم أنهم كانوا مُحِبِّي الإيمانِ كارِهي الكُفرِ والفِسْقِ والعِصيانِ، وكانوا راشِدينَ، فاعتِقادُ ضِدِّ هَذِه الأشياءِ في حَقِّهِم خطأ وضلال ومعاندة وتكذيب للقرآن ،فمن ذمهم وعابهم لدينهم وكفرهم بعد موت النبي ﷺ فهو كافر مرتد ليس من الإسلام في شيء

مثل الشيعة الروافض الذين يكفرون أبى بكر وعمر ويلعنون الصحابة ويسبون أمنا الطاهرة المطهرة الصديقة بنت الصديق زوج رسول الله ﷺ وحبيبته وأحب النساء إلى قلبه عائشة الحصان الرزان الذى برأها الله من فوق سبع سموات في قرآن يتلى ليوم القيامة

قال الله تعالى(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)الحشر: ٨

وقد مدحهم رسول الله وزكاهم فقال كما في صحيح مسلم (((النُّجومُ أَمَنةٌ السَّماءِ، فإذا ذَهَبَتِ النُّجومُ أتى السَّماءَ ما تُوعَدُ، وأنا أَمَنةٌ لِأصحابي فإذا ذَهَبْتُ أتى أصحابي ما يُوعَدونَ، وأصحابي أَمَنةٌ لِأُمَّتي فإذا ذَهَبَ أصحابي أتى أمَّتِي ما يُوعَدونَ)

وعن عَبد اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سُئِلَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أيُّ النَّاسِ خَيرٌ؟ قال: ((قَرْني، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهم، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهم، ثُمَّ يَجيءُ قَومٌ تَبدُرُ شَهادةُ أحَدِهم يَمينَهُ، وتَبْدُرُ يَمينُهُ شَهادَتَه) .متفق عليه .

قال ابنُ هُبَيرةَ: (في هَذا الحَديثِ دَليلٌ عَلى أنَّ خَيرَ النَّاسِ الَّذينَ صَحِبوا رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ورَأوهُ، ثُمَّ التَّابِعونَ لهم بإحسانٍ، كما قال عَزَّ وجَلَّ: والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) . ينظر: ((الإفصاح)) (٢/ ٤٩).

وقال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: (يَعني: أنَّ هَذِه القُرونَ الثَّلاثةَ أفضَلُ مِمَّا بَعدَها إلى يَومِ القيامةِ، وهَذِه القُرونُ في أنفُسِها مُتَفاضِلةٌ، فأفضَلُها: الأوَّلُ، ثُمَّ الَّذي بَعدَهُ، ثُمَّ الَّذي بَعدَهُ. هَذا ظاهِرُ الحَديثِ. فأمَّا أفضَلِيَّةُ الصَّحابةِ، وهمُ القَرنُ الأوَّلُ عَلى مَن بَعدَهم، فلا تَخفى... وأمَّا أفضَلِيَّةُ مَن بَعدَهم بَعضِهم عَلى بَعضٍ، فبِحَسَبِ قُربِهم مِنَ القَرنِ الأوَّلِ، وبِحَسَبِ ما ظَهَرَ عَلى أيديهِم من إعلاءِ كَلِمةِ الدِّين، ونَشْرِ العِلمِ، وفَتحِ الأمصارِ، وإخمادِ كَلِمةِ الكُفرِ، ولا خَفاءَ أنَّ الَّذي كانَ من ذلك في قَرنِ التَّابِعين كانَ أكثَرَ وأغلَبَ مِمَّا كانَ في أتباعِهِم، وكَذلك الأمرُ في الَّذينَ بَعدَهم، ثُمَّ بَعدَ هَذا غَلَبَتِ الشُّرورُ، وارتُكِبَتِ الأمورُ) . يُنظر: ((المفهم)) (٦/ ٤٨٦).

وقال ابنُ تيميَّةَ: (الِاعتِبارُ بالقُرونِ الثَّلاثةِ بجُمهورِ أهلِ القَرنِ، وهم وسَطُهُ، وجُمهورُ الصَّحابةِ انقَرَضوا بانقِراضِ خِلافةِ الخُلَفاءِ الأربَعةِ، حَتَّى إنَّهُ لم يَكُنْ بَقي من أهلِ بَدرٍ إلَّا نَفرٌ قَليلٌ، وجُمهورُ التَّابِعين بإحسانٍ انقَرَضوا في أواخِرِ عَصرِ أصاغِرِ الصَّحابةِ في إمارةِ ابنِ الزُّبيرِ وعَبدِ المِلكِ، وجُمهورُ تابِعِي التَّابِعينَ في أواخِرِ الدَّولةِ الأُمَويَّةِ وأوائِلِ الدَّولةِ العَبَّاسيَّةِ) . يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (١٠/ ٣٥٧).

وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كما في الصحيحين : ((لا تَسُبُّوا أحَدًا من أصحابي، فإنَّ أحَدَكم لو أنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدرَكَ مُدَّ أحَدِهم ولا نَصيفَه)) وقد فصلنا ذلك في كتاب فضل الصحابة فلا نطيل هنا

فائدة

آخر الصحابة موتاً على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي مات سنة مائة من الهجرة قاله مسلم في صحيحه، ورواه الحاكم في المستدرك عن خليفة بن خياط، وقيل سنة اثنين ومائة، وقيل سبع ومائة، وقيل عشر ومائة، وهو الذي صححه الذهبي، ويؤيد هذا الأخير ما رواه وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال: كنت بمكة سنة عشر ومائة فرأيت جنازة فسألت عنها فقالوا: "هذا أبو الطفيل" ويدل على أن أبا الطفيل آخرهم موتا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي الطفيل قال: "رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم، وما على وجه الأرض رجل رآه غيري"، وكانت وفاته رضي الله عنه بمكة.وبنهاية القرن الأول انتهى عصر الصحابة

آخر التابعين موتاً خلف بن خليفة المُتَوَفَّى سَنَةَ ١٨١ هـ (إحدى وثمانين ومائة) آخر التابعين موتًا، لأنه لقي في مكة آخر الصحابة موتًا أبا الطفيل عامر بن واثلة. ومن هنا قيل: إن عصر التابعين انقضى سنة ١٨١ هـ.

أخر تابعي التابعين موتاً الحسن بن عرفة العبدي البغدادي، توفي في سامراء سنة ٢٥٧ هجرية، عن مائة وعشر سنين، وهو آخر من روى عن آخر التابعين خلف بن خليفة وعلى ذلك يكون انقضاء القرون الثلاثة المفضلة بعد منتصف القرن الثالث بسبع سنة ٢٥٧ هجرية ،والله أعلم.

وَكَذَلِكَ نَقُولُ: فَأَفْضَلُ أَصْحَابِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ الْفَارُوقُ بَعْدَهُ عُمَرُ، ثُمَّ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

فأفضل الصحابة بالترتيب كما ذكرهم المصنف رحمه الله وهو ما عليه أهل السنة والجماعة خلافا للرافضة الذين يفضلون علياً رضى الله عنه ويكفرون شيخي الإسلام

- وَأَمَّا أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا فِيمَا اخْتَلَفُوا مَنْ أَوْلَى الصَّحَابَةِ بِالْإِمَامَةِ، فَبِقَوْلِ مَنْ قَالَ بِمَا

وكذلك الأولى بالإمامة والخلافة هم على الترتيب في الأفضلية كما هو مذهب أهل السنة والجماعة وعقيدتهم في الصحابة رضى الله عنهم

مدة الخلافة الراشدة

- حَدَّثَنِي بِهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا حَشْرَجُ بْنُ نُبَاتَةَ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جَمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مُلْكٌ» .، قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ: سَنَتَانِ، وَخِلَافَةُ عُمَرَ: عَشْرٌ، وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ: اثْنَتَا عَشْرَةَ، وَخِلَافَةُ عَلِيٍّ: سِتٌّ، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَوَجَدْتُهَا ثَلَاثُونَ سَنَةً

وحديث سفينة حديث صحيح رواه ابو داود والترمذي وهو في تحديد مدة الخلافة الراشدة التى أخبر رسول الله ﷺ عنها وأمرنا باتباعها وهى ثلاثون سنة ،وفي الحديث أبطال عقيدة الرافضة أخزاهم الله في الإمامة

وعادة العرب حذف الكسر فهى تذكر العدد صحيح بدون كسور وإلا فخلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه سنتان وأربعة أشهر

وخلافة الفاروق رضى الله عنه عشر وستة أشهر

وخلافة ذو النورين عثمان رضى الله عنه اثنا عشر سنة وكسر

وخلافة أبا الحسن على رضى الله عنه أربع سنين وكسر

وخلافة الحسن بن على رضى الله عنه الذى تولى الخلافة بعد أبيه ستة أشهر ،ثم تنازل عنها لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين .

فهذه ثلاثون سنة مدة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم أجمعين

قال ابن كثير في البداية والنهاية، إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة،.

وقال النووي في تهذيب الأَسماء، خلافة أبي بكر سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومدة خلافة عمر عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين يوماً، وعثمان ثنتي عشرة سنة إلا ست ليال، وعلي خمس سنين وقيل خمس سنين إلا أشهراً، والحسن نحو سبعة أشهر.

وجاء في تاريخ الطبري، الخلفاء الراشدون هم الأئمة الأربعة، أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، وهم الذين خلفوا رسول الله في قيادة الأمة، ومدة خلافتهم من انتقاله صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى في ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى مقتل علي بن أبي طالب في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ، تسع وعشرون سنة وستة أشهر وخمسة أيام، وإذا أضيفت لها خلافة الحسن بن علي، تكون ثلاثين سنة بالتمام

وقد بينت منزلة الصحابة وفضلهم واصطفاء الله لهم واختيارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه في كتاب (فضل الصحابة وأمهات المؤمنين وبنات سيد المرسلين) وكتاب (منزلة الصحابة رضى الله عنهم وحكم من كفرهم)

الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ، زِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ

- وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ هَلْ هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؟ وَهَلْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، أَمْ لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ؟ فَإِنَّ الصَّوَابَ فِيهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَبِهِ جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ مَضَى أَهْلُ الدِّينِ وَالْفَضْلِ

المسألة السادسة

ذكر المصنف رحمه الله مسألة الإيمان وقرر عقيدته فيه وهى عقيدة أهل السنة والجماعة وما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم

تعريف الإيمان عند أهل السنة

وهو قول وعمل ،قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح فالإيمان عند السلف الصالح يتركب من أركان ثلاثة الاعتقاد والقول والعمل

الاعتقاد ركن والقول ركن والعمل ركن ، لا يصح ولا يقبل ولا يتم إلا بالثلاثة مجتمعة ،والأعمال من الإيمان وداخلة فيه ومنه ،لا إيمان بدون عمل ،ومن الإعمال ما يدخل في أصل الإيمان عملاً وتركاً ،ومنها ما يدخل في الإيمان الواجب فلا يكفر به المسلم وهو تحت المشيئة كأصحاب الكبائر عند أهل السنة والجماعة .

وقد فصلت مسألة الإيمان وما يتعلق بها في أكثر من موضع من مواضع شرح كتب التوحيد والسنة ،كما أفردناها بكتب ومؤلفات ومباحث خاصة بها لأهميتها ووقوع اللبس فيها وفى منزلة الأعمال وحكم تاركها من ذلك كتاب الإيمان الكبير ذكرت فيه مسألة الإيمان وكل ما يتعلق بها والرد على المرجئة ،وكذلك كتاب التنبيهات المسألة الأولى ،وكتاب منزلة الأعمال وحكم تاركها ،وكتاب الإيمان والكفر عند أهل السنة ،وكتاب حقيقة الإيمان

وحررنا أصل الخلاف بين أهل السنة وبين الأدعياء وأنه ليس في تعريف الإيمان اللفظي كما يدعيه مرجئة عصرنا من أنه قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص وأن الأعمال من الإيمان وداخلة فيه

بل أصل الخلاف في منزلة الأعمال وحكم تاركها

فالأعمال عند أهل السنة ركن في مسمى الإيمان منها ما يزول الإيمان بزواله ومنها ما لا يزول الإيمان بزواله كما دل عليه حديث شعب الإيمان ،والمرجئة ومن وافقهم يقولون أن الأعمال من الإيمان نعم وداخلة فيه قطعاً لكنها تدخل في الواجب والمستحب فقط ولا تدخل في الأصل ، الأعمال لا تدخل في أصل الإيمان عندهم ، لذلك لا يكفرون بالمكفرات العملية ولا حتى القولية ، ويقولون الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد

وعلى ذلك فتارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العاجز مسلم عند مرجئة عصرنا !! نعم عندهم مسلم ناج من الخلود في النار

وعند أهل السنة والجماعة أن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز كافر ليس بمسلم ،لأنه معرض عن العمل متول عن الطاعة مع قدرته وتمكنه وعدم عجزه

ومن الأدلة على أنه قول باللسان.

قول الله تعالى :(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) البقرة/ ١٣٦،

وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ)

والدليل على أن قول القلب من الإيمان:

قوله تعالى: (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ) المجادلة/٢٢،

وقوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الحجرات/١٥،

وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين عندما سئل عن الإيمان : (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)

والدليل على أنه عمل القلب

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)الأنفال

وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين :(الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ)فالحياء والوجل من أعمال القلب

والدليل على أن أعمال الجوارح من الإيمان:

قوله تعالى:(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) البينة/٥، وقوله سبحانه : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الحجرات/ ١٥. والجهاد من عمل الجوارح.

وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة: من أعمال الجوارح، وقد عدها هنا إيمانا.

ومنه قول الله تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ البقرة/١٤٣ يَعْنِي صَلاَتَكُمْ عِنْدَ البَيْتِ. وترجم الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه على هذه الآية: "بَابٌ: الصَّلاَةُ مِنَ الإِيمَانِ".

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس في الصحيحين :(آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَتُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ)وقد فصلت ذلك في كتاب الإيمان الكبير

«الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ، فِي مَعْنَى الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشْيَبُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» ، فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ، وَمَا نُقْصَانُهُ؟ فَقَالَ: «إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ فَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا، وَضَيَّعْنَا، وَنَسِينَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ»

والإيمان عند أهل السنة يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وترك المعاصي،

وينقص بارتكاب المعاصي وترك الطاعات ، ينقص حتى لا يبقى منه شيء .

ودليل الزيادة قَولُ اللهِ تعالى:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)الأنفال .

قَولُ اللهِ سُبحانَه: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ)التوبة.

قال ابن كثير رحمه الله : " وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص ، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء ، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد "

قَولُ اللهِ عزَّ وجَلَّ: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)الأحزاب

قَولُ اللهِ تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ)الفتح

قال الإمام البخاري رحمه الله: لقيتُ أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

فمتى ثبتت زيادته ثبت نقصانه باللزوم، فالذي يزيد ينقص ،

ودليل النقصان قول رسول الله ﷺ في الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ :

(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ . فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ . قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ ؟ قُلْنَ بَلَى . قَالَ : فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا . أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ؟ قُلْنَ بَلَى قَالَ : فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا). فالإيمان إذن يزيد وينقص .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

(والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)

وقال " أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)

«لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ» .

- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ إِقْرَارٌ بِلَا عَمَلٍ، وَيَقُولُونَ: «لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ» .

وإجماع السلف الصالح أن الإيمان قول وعمل لا ينفع قول بلا عمل ، ولا يقبل إقرار باللسان أو تصديق مجرد في القلب من غير عمل الجوارح .

فلا عمل صالح مقبول إلا بإيمان في القلب ونية وصدق وإخلاص ومتابعة وخوف ورجاء وحياء حتى لا يكون كإيمان ابليس وفرعون معرفة فقط دون انقياد واذعان وقبول ،ولا كإيمان أهل النفاق قول ظاهر باللسان ليس له أصل ولا أساس من قول القلب وعمله ،وهذا هو قول المرجئة في الإيمان على اختلاف فرقهم .

فمنهم من يقول أن الإيمان هو المعرفة في القلب والكفر هو الجهل وهذا قول جهم ومن وافقه

ومنهم من يقول أن الإيمان هو النطق باللسان فقط فمن قال بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان وإن كذب بقلبه ،وهذا قول الكرامية

ومنهم من يقول أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ويخرجون العمل من الإيمان وهو مذهب الماتريدية والأشاعرة

ومنهم من يقول أنه قول وعمل والأعمال مطلوبة ويمدح فاعلها ويذم تاركها ولكنها كمال في الإيمان ولا تدخل في أصل الإيمان وهو قول مرجئة الفقهاء وبعض المعاصرين ممن ينتسبون إلى أهل السنة الذين تلوثوا بلوثة الإرجاء الخبيثة وكانوا فتنة لبعض الناس ،نسأل الله العافية

أَلْفَاظِ الْعِبَادِ بِالْقُرْآنِ

- وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي أَلْفَاظِ الْعِبَادِ بِالْقُرْآنِ، فَلَا أَثَرَ فِيهِ نَعْلَمُهُ عَنْ صَحَابِيٍّ مَضَى، وَلَا تَابِعِيٍّ قَضَى، إِلَّا عَمَّنْ فِي قَوْلِهِ الْغَنَاءُ وَالشِّفَاءُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ، وَفِي اتِّبَاعِهِ الرُّشْدُ وَالْهُدَى، وَمَنْ يَقُومُ قَوْلُهُ لَدَيْنَا مَقَامَ قَوْلِ الْأَئِمَّةِ الْأُولَى: أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- فَإِنَّ أَبَا إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيَّ حَدَّثَنِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: " اللَّفْظِيَّةُ جَهْمِيَّةٌ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ: {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦] ، فَمِمَّنْ يَسْمَعُ ".

- ثُمَّ سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِنَا لَا أَحْفَظُ أَسْمَاءَهُمْ يَذْكُرُونَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: " مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ".

- وَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ إِمَامٌ نَأْتَمُّ بِهِ سِوَاهُ، وَفِيهِ الْكِفَايَةُ وَالْمَنْعُ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُتَّبَعُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ.

المسألة السابعة مسألة اللفظ التى تنسب إلى اللفظية الذين قالوا :

لفظي بالقرآن مخلوق ، لم يجد الإمام الطبري رحمه الله لها دليلاً من القرأن ولا من السنة وليس فيها قولاً للصحابة رضى الله عنهم ،لم يجد له فيها سلف تكلم فيها إلا قول إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمه الله، فاقتدى به وقال بقوله ،ولم تكن تُعرف هذه المسألة قبل سنة أربع وثلاثين ومئتين فقد انتشرت وأُظهرت على يد الكرابيسي(أبو علي، الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي .صاحب الإمام الشافعي - رضي الله عنهما -، وأشهرهم بانتياب مجلسه، وأحفظهم لمذهبه وتوفي سنة ثمان وأربعين ومئتين، .والكرابيسي: نسبة إلى الكرابيس، وهي الثياب الغليظة، واحدها كِرْباس- بكسر الكاف -، وهو لفظ فارسي عُرِّب، وكان يبيعها، فنسب إليها.)

و الرجل إمام من أئمة المسلمين وكان الأولى به أن يكف عن الكلام في هذه المسألة التى لم يسبقه فيها أحد ، لا سيما في تلك الفترة العصيبة من تاريخ الأمة.

و أبا علي حسين بن علي الكرابيسي البغدادي، قد كانت بينه و بين الإمام أحمد صداقة وطيدة و علاقة متينة، ثم انقلبت إلى عداوة شديدة تكلم فيها

كل واحد على الآخر، و السبب محصور في مسألة اللفظ لا غير، و عند تحرير المسألة كما حررها شيخ الإسلام و الذهبي و غيرهما يتبين أن الكرابيسي كان يثبت الصفات على منهاج أهل السنة و أهل القرون المفضلة، و لم يكن يوماً من الأيام جهمياً و العياذ بالله ، و لو أننا هجرنا كل إمام زل في باب الصفات لما سلم لنا أحد، هذا إن زلّ بالفعل، فما بالك إذا كان ما قرره صواباً، ولكن أراد الإمام أحمد بكلامه هذا الزجر و قمع الفتنة في بداية ظهورها، لأن الزمن كان زمن فتنة وصولة ودولة للمعتزلة

قال الإمام الذهبي في السير : (أول من أظهر مسألة اللفظ حسين بن علي الكرابيسي، وكان من أوعية العلم، ووضع كتابًا في المدلسين، يحط على جماعة: فيه أن ابن الزبير من الخوارج. وفيه أحاديث يقوي به الرافضة، فأعلم أحمد، فحذر منه، فبلغ الكرابيسي، فتنمر، وقال: لأقولن مقالة حتى يقول ابن حنبل بخلافها، فيكفر. فقال: لفظي بالقرآن مخلوق.

وهذا المصطلح الذى ابتدعه الكرابيسى - نكاية في الإمام أحمد- لا يجوز إطلاقه نفيًا، ولا إثباتًا؛ لأن اللفظ معنى مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد، وبين الملفوظ به الذي هو القرآن .

فإذا أطلق القول بخلقه شمل المعنى الثاني ، ورجع إلى قول الجهمية ، وإذا قيل غير مخلوق شمل المعنى الأول الذي هو فعل العبد ، وهذا من بدع الاتحادية ، ولهذا قال السلف الصالح رحمهم الله تعالى : من قال لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق، فهو مبتدع .

ومسألة اللفظ مسألة محدثة في دين الله أحدثها وابتدعها المعتزلة بعد فتنة القول بخلق القرأن ،وقد أجمل فيها القول الإمام أحمد رحمه الله وسد الباب على أهل البدع فقال(من قال لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق، فهو مبتدع)وهذا من باب سد الذرائع الموصلة للشر والبدع والكفر ،وهذا من فقه الإمام أحمد رحمه الله تعالى

وقد فصل فيها الإمام البخارى رحمه الله تفصيلاً وضح فيه ما أجمله الإمام أحمد رحمه الله وهما من أئمة أهل السنة والجماعة ،والبخاري رحمه الله يعد من تلاميذ الإمام أحمد فلا خلاف بينهما ولا يقول بالخلاف بينهما إلا

حاسد أو جاهل أو صاحب هوى ،لم يفرق بين اللفظ والملفوظ ،والإمام البخارى رحمه الله شرح ووضح وفصل كل ذلك في صحيحه وبوب الأبواب ليفصل ما أجمله الإمام أحمد حتى لا يكون لمبتدع حجة

وقد امتُحن الإمام البخاري في هذه المسألة كما أمتحن الإمام أحمد في مسألة خلق القرأن وقد نفى الإمام البخارى ذلك عن نفسه، ووافق الإمام أحمد فيما ذهب إليه، ما يوضح اتفاق منهج أهل السنة

فقد قال البخاري في كتابه خلق أفعال العباد

"حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف، المسطور المكتوب الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]"،

وقال أيضاً "القراءة والحفظ والكتابة مخلوق، وما قرئ وحفظ وكتب ليس بمخلوق"،

وكان يكذب من ينسب إليه تلك العبارة المجملة: لفظي بالقرآن مخلوق، ويقول: (من حكى عني أني قلت ذلك فهو كذاب)،كما نقله الخطيب .

وقد فصل هذه المسألة وشرحها الشيخ حافظ الحكمي في كتابه معارج القبول فقال رحمه الله :

(مَسْأَلَةٌ) : اشْتُهِرَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَهَارُونَ الْفَرْوِيِّ ، وَجَمَاعَةِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّفْظِيَّةَ جَهْمِيَّةٌ ، وَاللَّفْظِيَّةُ هُمْ مَنْ قَالَ : لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ . قَالَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَنْ قَالَ : لَفْظِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ، يَعْنُونَ غَيْرَ بِدْعِيَّةِ الْجَهْمِيَّةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّفْظَ يُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ : أَحَدُهُمَا الْمَلْفُوظُ بِهِ ، وَهُوَ الْقُرْآنُ ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ ، لَيْسَ فِعْلًا لِلْعَبْدِ وَلَا مَقْدُورًا لَهُ ، وَالثَّانِي التَّلَفُّظُ ، وَهُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ وَكَسْبُهُ وَسَعْيُهُ ، فَإِذَا أُطْلِقَ لَفْظُ الْخَلْقِ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي ، شَمِلَ الْأَوَّلَ ، وَهُوَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ ، وَإِذَا عُكِسَ الْأَمْرُ بِأَنْ قَالَ : لَفْظِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، شَمِلَ الْمَعْنَى الثَّانِيَ ، وَهِيَ بِدْعَةٌ أُخْرَى مِنْ بِدَعِ الِاتِّحَادِيَّةِ . وَهَذَا ظَاهِرٌ عِنْدَ كُلِّ

عَاقِلٍ ، فَإِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ رَجُلًا يَقْرَأُ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تَقُولُ : هَذَا لَفْظُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَتَقُولُ : هَذَا لَفْظُ فُلَانٍ بِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، إِذِ اللَّفْظُ مَعْنًى مُشْتَرَكٌ بَيْنَ التَّلَفُّظِ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ ، وَبَيْنَ الْمَلْفُوظِ بِهِ الَّذِي هُوَ كَلَامُ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ .

وَهَذَا بِخِلَافِ مَا ذَكَرَ السَّلَفُ بِقَوْلِهِمْ : الصَّوْتُ صَوْتُ الْقَارِي ، وَالْكَلَامُ كَلَامُ الْبَارِي ، فَإِنَّ الصَّوْتَ مَعْنًى خَاصٌّ بِفِعْلِ الْعَبْدِ ، لَا يَتَنَاوَلُ الْمَتْلُوَّ الْمُؤَدَّى بِالصَّوْتِ الْبَتَّةَ ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ تَقُولَ هَذَا صَوْتُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَلَا يَقُولُ ذَلِكَ عَاقِلٌ ، وَإِنَّمَا تَقُولُ هَذَا صَوْتُ فُلَانٍ يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .

نَعَمْ ، إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْهُ - تَعَالَى - بِدُونِ وَاسِطَةٍ ، كَسَمَاعِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَسَمَاعِ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَسَمَاعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَلَامَهُ مِنْهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فَحِينَئِذٍ التِّلَاوَةُ وَالْمَتْلُوُّ صِفَةُ الْبَارِي - عَزَّ وَجَلَّ - لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ مَخْلُوقٌ .

وأئمة السلف رحمهم الله جعلوا اللفظية جهمية، وجعلوا الجهمية ثلاث طوائف:

- من قال إن القرآن مخلوق.

- واللفظية الذين يقولون تلاوة القرآن، واللفظ بالقرآن مخلوق.

- والواقفة الذين لا يقولون القرآن مخلوق ولا غير مخلوق.

فلما انتشر هذا بين أهل السنة في منتصف القرن الثالث نشأ في مقابل "اللفظية" طائفة مقابلة لهم قالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وتلاوتنا له غير مخلوقة، ولكن الإمام أحمد بدع هؤلاء وأمر بهجرهم.

واستقر مذهب السلف على تبديع الطائفتين، وصار من أصول مذهبهم في القرآن أنه كلام الله غير مخلوق، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق، أو قال غير مخلوق فهو مبتدع، وكذلك من وقف فيه فهو مبتدع.

والحمد لله الذى أمات هذه البدعة في زماننا ولم يبقى منها إلا بعض من يقول في القرآن قولاً مخالفاً لأهل السنة وهم في اندثار وتلاشى ولله الحمد

وموقف السلف مبني على ما في مسألة "اللفظ" و"التلاوة" من الإجمال؛ إذ قد يراد به المقروء والمتلو، وقد يراد به صوت القارئ وفعله. فمنعوا من إطلاق الأمرين لذلك .

وقد فصلنا في هذه المسألة القديمة ليس من باب أصل المسألة أو إحياء ما اندثر من علم الكلام ،ولكن رداً على بعض الجهلة الغلاة في زماننا الذين يكفرون الإمام البخارى ويخرجونه من دائرة الإسلام من أجل تفصيله في هذه المسألة التى لم يفهموها مع وضوحها ،لسفاهة عقولهم ، ومرض نفوسهم !!

هؤلاء الحمقى يكفرون ولياً من أولياء الله الصالحين ، وإماماً مباركاً من أئمة المسلمين ،فإنا لله وإنا إليه راجعون ،فإن لم يكن البخارى ولياً لله فليس لله ولى ،فإلى الله المشتكى من زمن تطاول فيه الجهال الغلاة الأقزام على أعلام الإسلام كمالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم !!!

ومسألة اللفظ شرحها شيخ الإسلام - رحمه الله - وبين ما فيها من اللبس، مع بيان ما جرى بين علماء السنة فيها، وفصل وجه الحق فيها، وبين وجه إنكار السلف على الطائفتين، وما في هذه الألفاظ من الإجمال أنظرها في ((درء التعارض)) (١/ ٢٥٦ - ٢٧١)، و ((التسعينية)) (ص: ٢٣٤ - ٢٣٥)، و ((مجموع الفتاوى)) (١٢/ ٣٠٦ - ٣٠٧، ٥٧٣ - ٥٧٤)، و ((المسألة المصرية – مجموع الفتاوى)) (١٢/ ٢٠٦ - ٢١٠)، و ((مسألة الأحرف – مجموع الفتاوى)) (١٢/ ٧٤ - ٧٥)، و ((الكيلانية – مجموع الفتاوى)) (١٢/ ٣٥٩ - ٣٦٤، ٣٧٤، ٤٠٨ - ٤٣٣)، و ((جواب أهل العلم والإيمان – مجموع الفتاوى)) (١٧/ ٣٤ - ٣٦).

المسألة الثامنة الِاسْمِ، أَهُوَ الْمُسَمَّى أَمْ غَيْرُ الْمُسَمَّى

- وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الِاسْمِ: أَهُوَ الْمُسَمَّى أَمْ غَيْرُ الْمُسَمَّى؟ فَإِنَّهُ مِنَ الْحَمَاقَاتِ الْحَادِثَةِ الَّتِي لَا أَثَرَ فِيهَا فَيُتَّبَعُ، وَلَا قَوْلَ مِنْ إِمَامٍ فَيُسْتَمَعُ، فَالْخَوْضُ فِيهِ شَيْنٌ، وَالصَّمْتُ عَنْه زَيْنٌ.

وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، وَالْقَوْلِ فِيهِ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ، الصَّادِقِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء: ١١٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠] وَيَعْلَمَ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، {لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}

هذه مسألة محدثة لا يبنى عليها علم إلا هرتقات وسفسطات أهل الكلام وليست من علم السلف بل من بدع أهل الكلام ، وهى كما قال المصنف رحمه الله (فَالْخَوْضُ فِيهِا شَيْنٌ، وَالصَّمْتُ عَنْها زَيْنٌ.)

ويكفى طالب العلم أو المسلم أن يعلم أن لله أسماء وصفات تدل على ذاته سبحانه ،وأن هذه الأسماء ليست مكتسبه، بل هى ذاتية ،فلا يسمى خالقاً لأنه خلق ،ولا رحيما لأنه رحم ، بل يسمى خالقاً قبل أن يخلق ، ورحيماً قبل أن يرحم خلقه، وهو الله الرحمن الذى على العرش استوى ،ويقف ولا يتجاوز ذلك لأن التجاوز ضلال وزيغ يخشي على صاحبه الهلكة .

والهدف من قول الجهمية والمعتزلة الاسم غير المسمى أن أسماء الله وصفاته غيره ومِنْ صفاته كلامه فهو غيره إذن هو مخلوق.

فإذا قلنا الاسم غير المسمى يلزمك أن تقول أن أسماء الله عز وجل وكلام الله غيره، وما كان غير الله فهو مخلوق؛ إذن كلام الله مخلوق.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى – رسالة في الاسم والمسمى في المجلد السادس من الفتاوى قال فيها :

(ولكنَّ هؤلاء الذين أطلقوا من الجهمية والمعتزلة أن الاسم غير المسمى مقصودهم أن أسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق ..)

إذن هذه بوَّابة للقول بخلْق الكلام؛ ولذلك يقول الشافعي رحمه الله:

(إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمَّى فاشهد عليه بالزندقة) وكذلك روى عن الأصمعي ،لأن مقصود من يقول الاسم غير المسمى أن يكون القرآن مخلوقاً.

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٢/ ١٧٠: (مثل قول الجهمية إن الاسم غير المسمى فإنهم توسلوا بذلك إلى أن يقولوا أسماء الله غيره ثم قالوا وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه فلا يكون الله تعالى سمى نفسه باسم ولا تكلم باسم من أسمائه ولا يكون له كلام تكلم به بل لا يكون كلامه إلا ما كان مخلوقا بائنا عنه ...)

فيكفى ما ذكره شيخ الإسلام في هذه المسألة فقد بين رحمه الله الخلاصة والهدف منها ،وأنها محدثة من بدع الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام ،وحقيقةً كلام أهل الكلام يقسى القلب، لذلك حذر السلف من المتكلمين ،وعلى طالب العلم الإتباع والاقتداء وأن يقف حيث وقف القوم فهم عن علم وفهم وقفوا.

فَمَنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ وَهَلَكَ. فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ بَعُدَ مِنَّا فَنَأَى، أَوْ قَرُبَ فَدَنَا، أَنَّ الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ بِهِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَا بَيَّنَّاهُ لَكُمْ عَلَى وَصْفِنَا، فَمَنْ رَوَى عَنَّا خِلَافَ ذَلِكَ أَوْ أَضَافَ إِلَيْنَا سِوَاهُ أَوْ نَحَلَنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا غَيْرَهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ، مُتَخَرِّصٌ مُعْتَدٍ، يَبُوءُ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ فِي الدَّارَيْنِ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُورِدَهُ الْمَوْرِدَ الَّذِي وَرَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُرَبَاءَهُ، وَأَنْ يُحِلَّهُ الْمَحَلَّ الَّذِي أَخْبَرَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يُحِلُّ أَمْثَالَهُ، عَلَى مَا أَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

والمصنف رحمه الله يبن عقيدة ومذهبه في هذه المسائل التى وقع فيها الخلاف في عصره حتى يبرئ نفسه من كل تهمة يتهمه بها من لا يعرف قوله ،ومن كل قول يتقوله عليه متقول مفتر يكذب عليه ، لأن المؤلف كما ذكرنا في المقدمة عانى كثيراً ممن افترى عليه وتقول عليه بغير حق

فجاز له أن يبين وينشر ما يبينه بين الناس ليعلم الحاضر الغائب أن هذا مذهبه وهذه عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة ،وما كان عليه إمام أهل السنة الإمام أحمد رحمه الله وأنه متبع له مقتد به في هذه المسائل

فمن رماه بما ليس فيه واتهمه بما هو بريء منه ونسب إليه قولاً غير قوله هذا الذي بينه وفصله ووضحه فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ، مُتَخَرِّصٌ مُعْتَدٍ، يَبُوءُ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ فِي الدَّارَيْنِ ويحل عليه ما يحل بما كذب وافترى كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله ﷺ (مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ.)

وشدد المؤلف رحمه الله في ذلك وحذر من الكذب والبهتان والغيبة والنميمة وأكل لحوم العلماء وعيبهم ولمزهم وتنقصهم في المجالس مما يزرى بهم ويذهب هيبة العلم ويجرئ السفهاء عليهم وهم حملة العلم وورثة الأنبياء ومفزع الناس عند المشكلات والمعضلات

وختم المؤلف رحمه الله رسالته بالتحذير من الغيبة والنميمة فهى من الكبائر التى جاء فيها وعيد شديد نسأل الله أن يسلمنا ويسلم منا .

- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ الْحِمْصِيِّ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ بُشَيْرٍ الْعِجْلِيِّ، عَنْ شُفَيِّ بْنِ مَاتِعٍ الْأَصْبَحِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى: يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْحَمِيمِ وَالْجَحِيمِ، يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَدْ آذَوْنَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟: فَرَجُلٌ مُغْلَقٌ عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ، وَرَجُلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ، وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ لَحْمَهُ، فَيَقُولُ لِصَاحِبِ التَّابُوتِ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أَمْوَالُ النَّاسِ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ لَا يُبَالِي إِنْ أَصَابَ الْبَوْلُ مِنْهُ لَا يَغْسِلُهُ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا: مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ بِذِعَةٍ قَبِيحَةٍ فَيَسْتَلِذُّهَا كَمَا يَسْتَلِذُّ الرَّفَثَ، وَيُقَالُ لِلَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَهُ، مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى؟ فَيَقُولُ إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ وَيَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ "

هذا الحديث الذى ذكره المصنف لا يخلوا من مقال وقد ضعفه العلماء وهذه المعاصي والكبائر التى ذكرت فيه جاءت في أحاديث صحاح ، فالصحيح فيه غنية وكفاية ولله الحمد .

فمعصية أكل أموال الناس بالباطل واتلافها والمماطلة في سدادها مع غناه جاء التحذير منها في صحيح البخارى والمسند ،وابن ماجة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (من أخذ أموالَ النّاسِ يريدُ أداءَها أدّى اللهُ عنه ومن أخذ أموالَ النّاسِ يريدُ إتلافَها أتلفه اللهُ.)

وكذلك معصية عدم التنزه من البول والإستبراء منه وغسله وطهارته بالإستنجاء أو الإستجمارثبت في صحيح البخارى (عن عبد الله بن عباسرضي الله عنهما قال (خَرَجَ النبيُّ ﷺ مِن بَعْضِ حِيطانِ المَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إنْسانَيْنِ يُعَذَّبانِ في قُبُورِهِما، فَقالَ: يُعَذَّبانِ، وما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ، وإنّه لَكَبِيرٌ، كانَ أحَدُهُما لا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وكانَ الآخَرُ يَمْشِي

بالنَّمِيمَةِ ثُمَّ دَعا بجَرِيدَةٍ فَكَسَرَها بكِسْرَتَيْنِ أوْ ثِنْتَيْنِ، فَجَعَلَ كِسْرَةً في قَبْرِ هذا، وكِسْرَةً في قَبْرِ هذا، فقالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عنْهما ما لَمْ يَيْبَسا..)

ومعصية البدعة والإحداث في الدين ثبت النهى عنها في الصحيحين من حديث أمنا الطاهرة المطهرة عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها وعن أبيها وعن الصحابة أجمعين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من أحدث في أمرِنا ما ليس منه فهو رَدٌّ.) وفى رواية أخرى في الصحيحين (من عمل عملًا ليس عليْهِ أمرُنا فهو ردٌّ.)

وصح عند الإمام أحمد في المسند وسنن الترمذى وأبو داود وبن ماجة، والنووى وبن تيمية وبن رجب والشوكانى أن رسول الله ﷺ قال (وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالَةٍ في النّارِ.)

وكذلك معصية النميمة ونقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله أن رسول الله ﷺ قال (ألا أُنَبِّئُكُمْ ما العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ القالَةُ بيْنَ النّاسِ. وإنّ مُحَمَّدًا ﷺ قالَ: إنّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حتّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، ويَكْذِبُ حتّى يُكْتَبَ كَذّابًا..)

وثبت أيضا في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنّهُ بَلَغَهُ أنّ رَجُلًا يَنِمُّ الحَدِيثَ فقالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمّامٌ..

- حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلِ بْنِ حَرَشَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بِمَا لَيْسَ فِيهِ لِيُعِيبَهُ، حَبَسَهُ اللَّهُ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ»

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ الطَّائِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الرَّازِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ عَبْدُ الْقُدُّوسِ بْنُ الْحَجَّاجِ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ

مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ صُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ "

- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاتِكَةِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَقِيعَ الْغَرْقَدِ فَوَقَفَ عَلَى قَبْرَيْنِ ثَرِيَّيْنِ، فَقَالَ: «أَدَفَنْتُمْ هُنَا فُلَانًا وَفُلَانَةَ؟» أَوْ قَالَ: «فُلَانًا وَفُلَانًا؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «قَدْ أُقْعِدَ فُلَانٌ الْآنَ يُضْرَبُ» ، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ضُرِبَ ضَرْبَةً مَا بَقِيَ مِنْهُ عُضْوٌ إِلَّا انْقَطَعَ، وَلَقَدْ تَطَايَرَ قَبْرُهُ نَارًا، وَلَقَدْ صَرَخَ صَرْخَةً سَمِعَتْهَا الْخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلَوْلَا تَمْرِيجُ قُلُوبِكُمْ وَتَزَيُّدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ» ، ثُمَّ قَالَ: «الْآنَ يُضْرَبُ هَذَا، الْآنَ يُضْرَبُ هَذَا» ، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ضُرِبَ ضَرْبَةً مَا بَقِيَ مِنْهُ عَظْمٌ إِلَّا انْقَطَعَ، وَلَقَدْ تَطَايَرَ قَبْرُهُ نَارًا، وَلَقَدْ صَرَخَ صَرْخَةً سَمِعَهَا الْخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلَوْلَا تَمْرِيجٌ فِي قُلُوبِكُمْ وَتَزَيُّدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ذَنْبُهُمَا؟، قَالَ: «أَمَّا فُلَانٌ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا فُلَانٌ - أَوْ فُلَانَةُ - فَإِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ»

وهذه الأحاديث الثلاثة التى ذكرها المصنف في التحذير من معصية الغيبة وذكر الناس بما يكرهون والوقوع في أعراضهم قد جاءت الأحاديث الصحاح عن رسول الله ﷺ تحذر من كبيرة الغيبة

منها ما ثبت في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (أتدرونَ ما الغِيبةُ؟ ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكرَهُ، إن كان فيهِ ما تقولُ فقد اغتبْتَهُ، و إن لَم يكن فيهِ فقد بَهَتَّهُ.)

فيجب على المسلم رد غيبة أخيه المسلم وينكر على من اغتابه مهما كان المجلس ومهما كان فيه ، كما فعل معاذ بن جبل مع كعب بن مالك رضى الله عنهما أمام رسول الله ﷺ في حديث الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وتاب الله عليهم والحديث في الصحيحين أسوقه بتمامه - مع طوله - لما فيه من الفوائد والدروس والعبر ولما فيه من المسائل العلمية

التى يحتاجها طالب العلم و ينتفع بها كل مسلم وقد ذكرت بعضاً منها في غير هذا الموضع .

(أنّ عَبْدَ اللهِ بنَ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، وكانَ، قائِدَ كَعْبٍ مِن بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بنَ مالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عن قِصَّةِ، تَبُوكَ، قالَ كَعْبٌ: لَمْ أتَخَلَّفْ عن رَسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةٍ غَزاها إلّا في غَزْوَةِ تَبُوكَ، غيرَ أنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولَمْ يُعاتِبْ أحَدًا تَخَلَّفَ عَنْها، إنّما خَرَجَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حتّى جَمع اللهُ بيْنَهُمْ وبيْنَ عَدُوِّهِمْ على غيرِ مِيعادٍ، ولَقَدْ شَهِدْتُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَواثَقْنا على الإسْلامِ، وما أُحِبُّ أنّ لي بها مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإنْ كانَتْ بَدْرٌ، أذْكَرَ في النّاسِ منها، كانَ مِن خَبَرِي: أنِّي لَمْ أكُنْ قَطُّ أقْوى ولا أيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عنْه، في تِلكَ الغَزاةِ، واللهِ ما اجْتَمعتْ عِندِي قَبْلَهُ راحِلَتانِ قَطُّ، حتّى جَمَعْتُهُما في تِلكَ الغَزْوَةِ، ولَمْ يَكُنْ رَسولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إلّا ورّى بغَيْرِها، حتّى كانَتْ تِلكَ الغَزْوَةُ، غَزاها رَسولُ اللهِ ﷺ في حَرٍّ شَدِيدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، ومَفازًا وعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلّى لِلْمُسْلِمِينَ أمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فأخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِ الذي يُرِيدُ، والمُسْلِمُونَ مع رَسولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، ولا يَجْمَعُهُمْ كِتابٌ حافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوانَ، قالَ كَعْبٌ: فَما رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَتَغَيَّبَ إلّا ظَنَّ أنْ سَيَخْفى له، ما لَمْ يَنْزِلْ فيه وحْيُ اللهِ، وغَزا رَسولُ اللهِ ﷺ تِلكَ الغَزْوَةَ حِينَ طابَتِ الثِّمارُ والظِّلالُ، وتَجَهَّزَ رَسولُ اللهِ ﷺ والمُسْلِمُونَ معهُ، فَطَفِقْتُ أغْدُو لِكَيْ أتَجَهَّزَ معهُمْ، فأرْجِعُ ولَمْ أقْضِ شيئًا، فأقُولُ في نَفْسِي: أنا قادِرٌ عليه، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمادى بي حتّى اشْتَدَّ بالنّاسِ الجِدُّ، فأصْبَحَ رَسولُ اللهِ ﷺ والمُسْلِمُونَ معهُ، ولَمْ أقْضِ مِن جَهازِي شيئًا، فَقُلتُ أتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بيَومٍ أوْ يَومَيْنِ، ثُمَّ ألْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أنْ فَصَلُوا لأتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ ولَمْ أقْضِ شيئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ ولَمْ أقْضِ شيئًا، فَلَمْ يَزَلْ بي حتّى أسْرَعُوا وتَفارَطَ الغَزْوُ، وهَمَمْتُ أنْ أرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، ولَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لي ذلكَ، فَكُنْتُ إذا خَرَجْتُ في النّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فيهم، أحْزَنَنِي أنِّي لا أرى إلّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عليه النِّفاقُ، أوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفاءِ، ولَمْ يَذْكُرْنِي رَسولُ اللهِ ﷺ حتّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقالَ: وهو جالِسٌ في القَوْمِ بتَبُوكَ: ما فَعَلَ كَعْبٌ فَقالَ رَجُلٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ: يا رَسولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْداهُ، ونَظَرُهُ في عِطْفِهِ، فَقالَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ: بئْسَ ما قُلْتَ، واللهِ يا رَسولَ اللهِ ما

عَلِمْنا عليه إلّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسولُ اللهِ ﷺ، قالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ: فَلَمّا بَلَغَنِي أنّه تَوَجَّهَ قافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وطَفِقْتُ أتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وأَقُولُ: بماذا أخْرُجُ مِن سَخَطِهِ غَدًا، واسْتَعَنْتُ على ذلكَ بكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِن أهْلِي، فَلَمّا قيلَ: إنّ رَسولَ اللهِ ﷺ قدْ أظَلَّ قادِمًا زاحَ عَنِّي الباطِلُ، وعَرَفْتُ أنِّي لَنْ أخْرُجَ منه أبَدًا بشيءٍ فيه كَذِبٌ، فأجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وأَصْبَحَ رَسولُ اللهِ ﷺ قادِمًا، وكانَ إذا قَدِمَ مِن سَفَرٍ، بَدَأَ بالمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنّاسِ، فَلَمّا فَعَلَ ذلكَ جاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ ويَحْلِفُونَ له، وكانُوا بضْعَةً وثَمانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ منهمْ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلانِيَتَهُمْ، وبايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لهمْ، ووَكَلَ سَرائِرَهُمْ إلى اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمّا سَلَّمْتُ عليه تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قالَ: تَعالَ فَجِئْتُ أمْشِي حتّى جَلَسْتُ بيْنَ يَدَيْهِ، فَقالَ لِي: ما خَلَّفَكَ، ألَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ. فَقُلتُ: بَلى، إنِّي واللهِ لو جَلَسْتُ عِنْدَ غيرِكَ مِن أهْلِ الدُّنْيا، لَرَأَيْتُ أنْ سَأَخْرُجُ مِن سَخَطِهِ بعُذْرٍ، ولقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، ولَكِنِّي واللهِ، لقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليومَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضى به عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، ولَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إنِّي لَأَرْجُو فيه عَفْوَ اللهِ، لا واللهِ، ما كانَ لي مِن عُذْرٍ، واللهِ ما كُنْتُ قَطُّ أقْوى، ولا أيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أمّا هذا فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حتّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ. فَقُمْتُ، وثارَ رِجالٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ فاتَّبَعُونِي، فَقالوا لِي: واللهِ ما عَلِمْناكَ كُنْتَ أذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذا، ولقَدْ عَجَزْتَ أنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ بما اعْتَذَرَ إلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قدْ كانَ كافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفارُ رَسولِ اللهِ ﷺ لَكَ، فَواللهِ ما زالُوا يُؤَنِّبُونِي حتّى أرَدْتُ أنْ أرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلتُ لهمْ: هلْ لَقِيَ هذا مَعِي أحَدٌ؟ قالوا: نَعَمْ، رَجُلانِ، قالا مِثْلَ ما قُلْتَ، فقِيلَ لهما مِثْلُ ما قيلَ لَكَ، فَقُلتُ: مَن هُما؟ قالوا: مُرارَةُ بنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ الواقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لي رَجُلَيْنِ صالِحَيْنِ، قدْ شَهِدا بَدْرًا، فِيهِما أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُما لِي، ونَهى رَسولُ اللهِ ﷺ المُسْلِمِينَ عن كَلامِنا أيُّها الثَّلاثَةُ مِن بَيْنِ مَن تَخَلَّفَ عنْه، فاجْتَنَبَنا النّاسُ، وتَغَيَّرُوا لَنا حتّى تَنَكَّرَتْ في نَفْسِي الأرْضُ فَما هي الَّتي أعْرِفُ، فَلَبِثْنا على ذلكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فأمّا صاحِبايَ فاسْتَكانا وقَعَدا في بُيُوتِهِما يَبْكِيانِ، وأَمّا أنا، فَكُنْتُ أشَبَّ القَوْمِ وأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أخْرُجُ فأشْهَدُ الصَّلاةَ مع المُسْلِمِينَ، وأَطُوفُ في الأسْواقِ ولا يُكَلِّمُنِي أحَدٌ، وآتي رَسولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عليه وهو

في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فأقُولُ في نَفْسِي: هلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ برَدِّ السَّلامِ عَلَيَّ أمْ لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا منه، فَأُسارِقُهُ النَّظَرَ، فَإذا أقْبَلْتُ على صَلاتي أقْبَلَ إلَيَّ، وإذا التَفَتُّ نَحْوَهُ أعْرَضَ عَنِّي، حتّى إذا طالَ عَلَيَّ ذلكَ مِن جَفْوَةِ النّاسِ، مَشيتُ حتّى تَسَوَّرْتُ جِدارَ حائِطِ أبِي قَتادَةَ، وهو ابنُ عَمِّي وأَحَبُّ النّاسِ إلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عليه، فَواللَّهِ ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلتُ: يا أبا قَتادَةَ، أنْشُدُكَ باللَّهِ هلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ له فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ له فَنَشَدْتُهُ، فَقالَ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَفاضَتْ عَيْنايَ، وتَوَلَّيْتُ حتّى تَسَوَّرْتُ الجِدارَ، قالَ: فَبيْنا أنا أمْشِي بسُوقِ المَدِينَةِ، إذا نَبَطِيٌّ مِن أنْباطِ أهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعامِ يَبِيعُهُ بالمَدِينَةِ، يقولُ: مَن يَدُلُّ على كَعْبِ بنِ مالِكٍ، فَطَفِقَ النّاسُ يُشِيرُونَ له، حتّى إذا جاءَنِي دَفَعَ إلَيَّ كِتابًا مِن مَلِكِ غَسّانَ، فَإذا فِيهِ: أمّا بَعْدُ، فإنّه قدْ بَلَغَنِي أنّ صاحِبَكَ قدْ جَفاكَ ولَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بدارِ هَوانٍ، ولا مَضْيَعَةٍ، فالحَقْ بنا نُواسِكَ، فَقُلتُ لَمّا قَرَأْتُها: وهذا أيضًا مِنَ البَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بها التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بها، حتّى إذا مَضَتْ أرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إذا رَسولُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقالَ: إنّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلتُ: أُطَلِّقُها؟ أمْ ماذا أفْعَلُ؟ قالَ: لا، بَلِ اعْتَزِلْها ولا تَقْرَبْها، وأَرْسَلَ إلى صاحِبَيَّ مِثْلَ ذلكَ، فَقُلتُ لِامْرَأَتي: الحَقِي بأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حتّى يَقْضِيَ اللَّهُ في هذا الأمْرِ، قالَ كَعْبٌ: فَجاءَتِ امْرَأَةُ هِلالِ بنِ أُمَيَّةَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ: إنّ هِلالَ بنَ أُمَيَّةَ شيخٌ ضائِعٌ، ليسَ له خادِمٌ، فَهلْ تَكْرَهُ أنْ أخْدُمَهُ؟ قالَ: لا، ولَكِنْ لا يَقْرَبْكِ. قالَتْ: إنّه واللَّهِ ما به حَرَكَةٌ إلى شيءٍ، واللَّهِ ما زالَ يَبْكِي مُنْذُ كانَ مِن أمْرِهِ، ما كانَ إلى يَومِهِ هذا، فَقالَ لي بَعْضُ أهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ في امْرَأَتِكَ كما أذِنَ لِامْرَأَةِ هِلالِ بنِ أُمَيَّةَ أنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلتُ: واللَّهِ لا أسْتَأْذِنُ فِيها رَسولَ اللَّهِ ﷺ، وما يُدْرِينِي ما يقولُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إذا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيها، وأَنا رَجُلٌ شابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذلكَ عَشْرَ لَيالٍ، حتّى كَمَلَتْ لَنا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِن حِينَ نَهى رَسولُ اللَّهِ ﷺ عن كَلامِنا، فَلَمّا صَلَّيْتُ صَلاةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وأَنا على ظَهْرِ بَيْتٍ مِن بُيُوتِنا، فَبيْنا أنا جالِسٌ على الحالِ الَّتي ذَكَرَ اللَّهُ، قدْ ضاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وضاقَتْ عَلَيَّ الأرْضُ بما رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صارِخٍ، أوْفى على جَبَلِ سَلْعٍ بأَعْلى صَوْتِهِ: يا كَعْبُ بنَ مالِكٍ أبْشِرْ، قالَ: فَخَرَرْتُ ساجِدًا، وعَرَفْتُ أنْ قدْ جاءَ فَرَجٌ، وآذَنَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بتَوْبَةِ

اللهِ عَلَيْنا حِينَ صَلّى صَلاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النّاسُ يُبَشِّرُونَنا، وذَهَبَ قِبَلَ صاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، ورَكَضَ إلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وسَعى ساعٍ مِن أسْلَمَ، فأوْفى على الجَبَلِ، وكانَ الصَّوْتُ أسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمّا جاءَنِي الذي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ له ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إيّاهُما، ببُشْراهُ واللهِ ما أمْلِكُ غَيْرَهُما يومَئذٍ، واسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُما، وانْطَلَقْتُ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَيَتَلَقّانِي النّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بالتَّوْبَةِ، يقولونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قالَ كَعْبٌ: حتّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذا رَسولُ اللهِ ﷺ جالِسٌ حَوْلَهُ النّاسُ، فَقامَ إلَيَّ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حتّى صافَحَنِي وهَنّانِي، واللهِ ما قامَ إلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهاجِرِينَ غَيْرَهُ، ولا أنْساها لِطَلْحَةَ، قالَ كَعْبٌ: فَلَمّا سَلَّمْتُ على رَسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: رَسولُ اللهِ ﷺ، وهو يَبْرُقُ وجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أبْشِرْ بخَيْرِ يَومٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ ولَدَتْكَ أُمُّكَ، قالَ: قُلتُ: أمِن عِندِكَ يا رَسولَ اللهِ، أمْ مِن عِندِ اللهِ؟ قالَ: لا، بَلْ مِن عِندِ اللهِ. وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذا سُرَّ اسْتَنارَ وجْهُهُ، حتّى كَأنّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وكُنّا نَعْرِفُ ذلكَ منه، فَلَمّا جَلَسْتُ بيْنَ يَدَيْهِ قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنّ مِن تَوْبَتي أنْ أنْخَلِعَ مِن مالِي صَدَقَةً إلى اللهِ وإلى رَسولِ اللهِ، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مالِكَ فَهو خَيْرٌ لَكَ. قُلتُ: فإنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الذي بخَيْبَرَ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنّ اللهَ إنّما نَجّانِي بالصِّدْقِ، وإنّ مِن تَوْبَتي أنْ لا أُحَدِّثَ إلّا صِدْقًا، ما بَقِيتُ. فَواللهِ ما أعْلَمُ أحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أبْلاهُ اللهُ في صِدْقِ الحَديثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ، أحْسَنَ ممّا أبْلانِي، ما تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ إلى يَومِي هذا كَذِبًا، وإنِّي لَأَرْجُو أنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيما بَقِيتُ، وأَنْزَلَ اللهُ على رَسولِهِ ﷺ: {لَقَدْ تابَ اللهُ على النبيِّ والمُهاجِرِينَ والأنْصارِ} إلى قَوْلِهِ {وكُونُوا مع الصّادِقِينَ} فَواللهِ ما أنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِن نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أنْ هَدانِي لِلْإِسْلامِ، أعْظَمَ في نَفْسِي مِن صِدْقِي لِرَسولِ اللهِ ﷺ، أنْ لا أكُونَ كَذَبْتُهُ، فأهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فإنّ اللهَ قالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أنْزَلَ الوَحْيَ - شَرَّ ما قالَ لأحَدٍ، فَقالَ الله عزوجل: {سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ إذا انْقَلَبْتُمْ} إلى قَوْلِهِ {فَإِنّ اللهَ لا يَرْضى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ}، قالَ كَعْبٌ: وكُنّا تَخَلَّفْنا أيُّها الثَّلاثَةُ عن أمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ منهمْ رَسولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا له، فَبايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لهمْ، وأَرْجَأَ رَسولُ اللهِ ﷺ أمْرَنا حتّى قَضى اللهُ فِيهِ، فَبِذلكَ قالَ اللهُ: {وعَلى

الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}. وليسَ الذي ذَكَرَ اللهُ ممّا خُلِّفْنا عَنِ الغَزْوِ، إنّما هو تَخْلِيفُهُ إيّانا، وإرْجاؤُهُ أمْرَنا، عَمَّنْ حَلَفَ له واعْتَذَرَ إلَيْهِ فَقَبِلَ منه.)

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»

صح الحديث بذلك عند الترمذى وأبو داود وأحمد والبغوى وبن حبان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال (صَعِدَ رسولُ اللهِ على المِنبَرِ فنادى بصوتٍ رفيعٍ، فقال يا مَعشَرَ مَن آمَنَ بلسانِه، ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قَلبِه: لا تَغتابوا المُسلِمينَ، ولا تَتَّبِعوا عوراتِهم، فإنّه مَن تتَبَّعَ عَوراتِ المُسلِمينَ، تتَبَّعَ اللهُ عَورتَه، ومَن تتَبَّعَ اللهُ عَورتَه، فيَفضَحُه ولو في جَوْفِ رَحْلِه، قال: ونظَرَ ابنُ عُمَرَ يومًا إلى الكَعبةِ، فقال: ما أعظَمَكِ، وأعظَمَ حُرمَتَكِ! والمُؤمنُ أعظَمُ عندَ اللهِ حُرمةً منكِ..)والجزاء من جنس العمل ،وكما تدين تدان ، كما تفعل يفعل بك

هذا ما يسره الله في شرح هذه الرسالة أسأل الله أن ينفع بها ويتقبلها منا خالصة لوجهه الكريم ،وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ،ونسأله سبحانه أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها ،وأن يجرنا من خزى الدنيا وعذاب الأخرة ، ويرزقنا الثبات على الحق وحسن الخاتمة على التوحيد والسنة ، والحمد لله رب العالمين ،وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أَبُو سَلْمَانْ عَبْدُ اَللَّهْ اَلْغُلَيْفِى

كتب للمؤلف رحمه الله

أولاً كتب التوحيد والعقيدة ومسائل الإيمان والكفر

١-مختصر الوجاء من شبهات الخوارج والإرجاء

٢- البيان والإشهار في كشف زيغ من توقف في تكفير المشركين والكفار (تحقيق كلام شيخي الإسلام بن تيمية وبن عبد الوهاب في تكفير المعين والعذر بالجهل)

٣- بيان حقيقة التوحيد الذي جهله كثير من العبيد(مختارات عقدية من الدرر السنية)

٤- العذر بالجهل بين ضبط السلف واضطراب الخلف

٥- مقدمة في علم التوحيد(متن في التوحيد والشرك والإيمان والكفر)

٦- التنبيهات المختصرة على المسائل الخلافية المنتشرة، وهى أربع مسائل

٧ - حقيقة الإيمان ومنزلة أعمال الجوارح

٨- الحكم والتحاكم وأحوال المتحاكمين

٩ - العذر بالجهل حقيقته ومعناه

١٠ - كفر تارك الصلاة

١١- أثار كفر الردة على المجتمع الإسلامي

١٢- أهل السنة بين مطرقة الخوارج وسندان المرجئة

١٣- العذر بالجهل أسماء وأحكام

١٤- حكم الإسلام في العلمانية والديمقراطية والانتخابات البرلمانية

١٥- مجمل أقوال السلف وكبار العلماء في ذم المرجئة والإرجاء

١٦- شرح نواقض الإسلام وحكم من أعان المرتدين والأمريكان

١٧- فصل الكلام في الحاكمية والحكام

١٨- شرح الأصول الثلاثة

١٩- الكفر بالطاغوت بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة

٢٠- بحث فى معنى اللعن وحقيقته و حكم لعن المعين

٢١- بحث فى معنى حديث خلق الله آدم على صورة الرحمن

٢٢- بحث في أن أسماء الله توقيفية لامجال للعقل فيها

٢٣- هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه ؟

٢٤- هل نصارى مصر الأن أهل ذمة وعهد وأمان؟

٢٥- حكم بناء الكنائس ورفع الصلبان فى بلاد الإسلام

٢٦- أسئلة وأجوبة فى الإيمان والكفر والعذر بالجهل

٢٧- الفروق العقدية بين السلف وأدعياء السلفية (الفرق بين السلف والسلفية)

٢٨-حقيقة التوحيد -

٢٩- حقيقة الشرك-

٣٠- حقيقة الإيمان

-٣١- حقيقة الكفر-

٣٢- حقيقة الإسلام

٣٣- حقيقة العلمانية

-٣٤- حقيقة الديمقراطية-

٣٥- حقيقة القومية -

٣٦- حقيقة الليبرالية-

٣٧- حقيقة البهائية -

٣٨- حقيقة القديانية-

٣٩- حقيقة الصوفية-

٤٠- حقيقة الوطنية

٤١- حقيقة النصرانية-

٤٢- حقيقة الشيعة والرافضة

٤٣- هل نصارى الزمان أهل ذمة وعهد وأمان؟

٤٤- إعلام المسلمين بكفر وقتل من سب الله رب العلمين

٤٥- إعلام الأمة بكفر وقتل من آذى نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم

٤٦- حكم تعزية الكافر وتهنئته

٤٧- مصطلحات ومفاهيم عقدية

٤٨- مدخل لدراسة كتاب التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام

٤٩- الغلو مفهومه وحقيقته وصوره وأسبابه وعلاجه

٥٠- أحكام الديار

٥١- أهل الفترة أقسام وأحكام

٥٢- موسوعة كتاب مسألة الإيمان

٥٣- مدخل لدراسة الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

٥٤- مدخل لدراسة الديانة اليهودية

٥٥- مدخل لدراسة الديانة النصرانية

٥٦- مدخل لدراسة الديانات الوثنية

٥٧- مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة

٥٨- رسالة فى الطاغوت وحقيقة الكفر به

٥٩- حقيقة الإيمان ومنزلة الأعمال وحكم تاركها بالكلية

٦٠- حقيقة الإيمان والكفر عند أهل السنة والجماعة

٦١- بحث مقولة (كفر دون كفر)

٦٢- الرد على أهل التوقف والتبين والغلو فى التكفير

٦٣- شرح مسائل العقيدة الواسطية

٦٤- شرح كشف الشبهات

٦٥- معنى حديث (خلق الله آدم على صورة الرحمن)

٦٦- العذر بالجهل ضوابط وأصول

٦٧ – المبتدى فى شرح كتاب التوحيد

٦٨ – شرح كتاب التوحيد لشيخ الاسلام الامام المجدد

٦٩ – شرح مسائل كتاب التوحيد

٧٠- المنتهى فى شرح كتاب التوحيد

٧١ - الاعلام بأن الأصل فى الناس الاسلام

٧٢- حكم الطلب من الميت والغائب

٧٣-شرح كتاب عقائد السلف حتى القرن الثالث

٧٤-شرح كتاب الابانة لأبي الحسن الأشعري

٧٥- شرح كتاب مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الاشعري

٧٦- شرح التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

٧٧- شرح الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

٧٨- التعليق على الموطأ للإمام مالك رحمه الله

٧٩- شرح كتاب الإبانة لابن بطة رحمه الله

٨٠- مسألة ِكفر العاذر ومن لم يكفر الكافر

٨١- اسم مرتكب الشرك فى الوحيين وعند الصحابة رضى الله عنهم

٨٢- شرحه لكتاب مقدمة في علم التوحيد لأئمة الدعوة

٨٣- شرحه لكتاب الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية

٨٤- شرحه لكتاب اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام

٨٥- شرحه لكتاب الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام

٨٦- شرحه لكتاب الإيمان الكبير لشيخ الإسلام

٨٧- شرحه لكتاب لمعة الإعتقاد

٨٨- شرحه لكتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام

٨٩- تعليقاته على العقيدة الطحاوية

٩٠- شرحه لكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام

٩١- إعلام المؤمنين بان الصحابة لم يختلفوا فى التوحيد واصول الدين

٩٢- شرح قواعد في الفرق

٩٣- شرح لمعة الإعتقاد

٩٤- شرح إعتقاد الإمام أحمد رحمه الله

٩٥- شرح كتاب حكم الإنتماء للفرق والأحزاب

٩٦- مصطلحات ومفاهيم عقدية

٩٧- تعريف الكفر وحقيقته عند أهل السنة

٩٨- شرح كتاب الحقائق في التوحيد

٩٩- شرح كتاب فضل العلم ومنزلة أهله

١٠٠- شرح كتاب القواعد الأربعة

١٠١- شرح كتاب أصول الفرق

١٠٢- شرح كشف الشبهات

١٠٣- شرح كتاب المسائل الفقية

١٠٤- شرح كتاب أصول الإيمان لإمام الدعوة

١٠٥- رسالة في غسل يوم الجمعة

١٠٦-شرح كتاب تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة

١٠٧-شرح كتاب كفاية المستزيد شرح كتاب التوحيد

١٠٨-حكم تارك الأركان الأربعة

١٠٩-صبر العلماء على طلب العلم

١١٠-تحرير موقف الصحابة من المرتدين

١١١-شرح كتاب المعتصر في التوحيد

١١٢- شرح مختصر خوقير في الفقه

١١٣-شرح كتاب فضل الإسلام

١١٤-شرح رسالة في كفر تارك الصفة

١١٥-شرح رسالة في تعدد النيات في العمل

١١٦-شرح فتوى شيخ الإسلام في كنائس مصر والعراق

١١٧-شرح كتاب صيانة المعتقد في مسائل الإيمان

١١٨-المدرسة العقلانية ومعاول هدم الإسلام

١١٩-شرح رسالة في الإخلاص

١٢٠- شرح رسالة حكم تارك الأركان الأربعة

١٢١-شرح مقدمة في الإجماع

١٢٢-شرح رسالة في المسح على الجبائر

١٢٣-شرح كتاب ست مواضع من السيرة

١٢٤-شرح كتاب مختصر أركان الإيمان

١٢٥- شرح كتاب مختصر أركان الإسلام

١٢٦-شرح كتاب الرسائل الشخصية لإمام الدعوة

١٢٧-شرح كتاب مسائل الجاهلية

١٢٨-شرح رسالة في الرد على الروافض

١٢٩-شرح رسالة فوائد صلح الحديبية لإمام الدعوة

١٣٠-شرح كتاب مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى

١٣١-شرح كتاب الإبانة لأبى الحسن الأشعرى

١٣٢-شرح كتاب المدخل لدراسة الموطأ

١٣٣-شرح إعتقاد الإمام الشافعى في تكفير منكر الصفات

١٣٤- شرح تفسير بن كثير وصل إلى سورة آل عمران

١٣٥- تفسير آية الكرسى وكيفية الإنتفاع بها

١٣٦-كتاب العذر بالجهل ضوابط وأصول تأصيل وتفصيل

ثانياً الشروح العلمية لكتب السُنة

١٣٧- شرحه لكتاب أصول السنة للإمام أحمد

١٣٨-شرح كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد

١٣٩-شرح السنة للحميدى

١٤٠-شرح أصول السنة لإبن زمنين المالكي

١٤١- شرحه لكتاب السنة للإمام البربهاري

١٤٢- شرحه لكتاب الشريعة للإمام ألأجري " لم يكمله "

١٤٣- شرحه لكتاب الأداب الشرعية لابن مفلح

١٤٤- شرحه لكتاب حلية طالب العلم

١٤٥- شرحه لكتاب التحفة العراقية في أعمال القلوب لشيخ الإسلام

١٤٦- بدأ في صحيح البخاري حتى كتاب التفسير " ولم يكمله "

١٤٧- بدأ في شرح الروض الأنف للسهيلى "

١٤٨- موطأ الإمام مالك

فقه الجهاد

١٤٩- قرة عيون المجاهدين{الطريق إلى أرض المعركة}

١٥٠- بين سيد إمام والقاعدة

١٥١- خماسية الجهاد(الإرشاد إلى طريق الجهاد)كيف تكون مجاهداً سنيًا فى سبيل الله

١٥٢- عشرون وصية على طريق الجنة

الفقه وأصوله

١٥٣- حكم الشريعة الغراء فى كيفية الغسل والتكفين والدفن والعزاء

١٥٤- بحث فى المسح على الخفين

١٥٥- حكم الجلوس للتعزية والاجتماع عند أهل الميت بعد دفنه

١٥٦- إعلام الأتقياء بتحريم الموسيقى والغناء والفرق بين الأناشيد والحداء

١٥٧- حكم تقصير اللحية والأخذ منها

١٥٨- القول الفصل الصائب فى حكم الصلاة على الغائب

١٥٩- حكم جمع صلاة العصر مع صلاة الجمعة للمسافر

١٦٠- الأضحية مسائل وأحكام

١٦١- فقه الطهارة والصلاة

١٦٢-شرح كتاب البيوع والمعاملات

١٦٣-شرح كتاب المواريث والفرائض

١٦٤- حكم المسح على الجبيرة

١٦٥- تحقيق مسألة نجاسة الدم

١٦٧- شرحه لكتاب فقه الطهارة والصلاة

١٦٨- حكم قراءة القرآن للحائض والجنب

١٦٩- نسب ولد الزنا والأحكام المترتبة عليه

١٧٠- رسالة فى كيفية وضوء أهل الأعذار المستحاضة ومن به سلس بول

١٧١- مسائل الصور والتصوير بين الافراط والتفريط

١٧٢- تعدد النيات والجمع بينها

١٧٣- حجية خبر الأحاد

١٧٤- فقه مقاصد الشريعة ومآلات الأعمال

١٧٥- مسألة تقسيم الدين إلى أصول وفروع

الرسائل والمسائل والمقالات والردود

١٧٦- ولا تنازعوا فتفشلوا

١٧٨- فضائل القرآن وأخلاق أهله وآداب حملته

١٧٩- المرجئـــــــــــــة

١٨٠- الخوارج عقيدة وتاريخ

١٨١- الشيعة الروافض نشاتهم وعقيدتهم وجرائمهم ضد الإسلام والمسلمين

١٨٢- من أخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة

١٨٣- حكم امامة المتغلب فى زمن غياب الشريعة

١٨٤- صفحات مشرقة بالإيمان من حياة الكريمة الفاضلة أم سلمان رحمها الله

١٨٥- القطبية من سيد قطب إلى عبد المجيد الشاذلي

١٨٦- أيها الموحد من يحمل هم هذا الدين ؟

١٨٧- السلفيون والثورة على أى شئ نجتمع وتحت أى راية نقف!!

١٨٨- حكم الاستفتاء على الدستور المخالف لدين الله وما جاء به الرسول

سلسلة الشوارد والمتفرقات

١٨٩- الذين سجنوا وماتوا فى السجن من أهل الإسلام

١٩٠- من على جدران زنازين الطواغيت

١٩١- الحملة الشعبية لإلغاء جهاز مباحث أمن الدولة

١٩٢- الحقيقة التى يعرفها كل الناس

١٩٣- اعتكاف رغم أنوف الطواغيت

١٩٤- إلى دعاة الفضائيات

١٩٥- لماذا إحياء مذهب الصحابة وفقه الصحابة رضى الله عنهم

١٩٦- محبة الله بين الحقيقة والإدعاء

١٩٧- أيها المسلم من قدوتك ، وهل حقاً تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٩٨- بيوت مطمئنة (ثغرات فى بيوت الدعاة)

١٩٩- وصايا نبوية فى تأمين الجبهة الداخلية (تربية الزوجة)

٢٠٠- مختصر كتاب إسم مرتكب الشرك إختصره الشيخ محمد الروينى

٢٠١- وصايا في طلب العلم

٢٠٢- عشر بين يدى المهدى

٢٠٣- عيسى عليه السلام مسلماً

٢٠٤- فتاوى الصيام

٢٠٥- فتنة الخوارج دروس وعبر

٢٠٦- فوائد من كتاب الشرح الممتع

٢٠٧- شبهة لانكفر من عبد قبة الكواز

٢٠٨- لماذا لم يكفر الإمام أحمد المعتصم والمأمون

٢٠٩- حكم إتيان الرجل زوجته في دبرها

٢١٠- مباحث ورسائل ومقالات في العقيدة والإيمان والكفر

٢١١- قصة بداية الشرك في الأمة

٢١٢- مختارات من كتاب أصول الإيمان

٢١٣- مختصر مصارف الزكاة المفروضة

٢١٤- مدعى المهدية من القرن الأول حتى عصرنا الحاضر

٢١٥- مسائل مهمة في الدماء الطبيعية

٢١٦- معاذ بن جبل رضى الله عنه

٢١٧- من معانى الفتنة في القرآن الكريم

٢١٨- مناقشة علمية حول حقيقة الإيمان وصحة حديث سجودمعاذ

٢١٩- هذه وصيتى

٢٢٠- هل تصح الإمامة وتنعقد الإمارة بغير القرشى

٢٢١- هل يجب توزيع الغنائم على الفور

٢٢٢- التوضيح والبيان

٢٢٣- الحقيقة والمجاز

٢٢٤- الحنفاء قبل الإسلام على ملة إبراهيم قطعوا العذر

٢٢٥- الحذر من سوء الخاتمة

٢٢٦- أشراط الساعة

٢٢٧- الآثار المدمرة للتدخين على الفرد والمجتمع

٢٢٨- أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة

٢٢٩- الأمر الأول العتيق

٢٣٠- الضحية

٢٣١- الفتنة وحصار الحرم

٢٣٢- عيسى عليه السلام في القرآن

٢٣٣- مريم عليها السلام في القرآن

٢٣٤- المسيح في القرآن

٢٣٥- شرح الخرسانية

٢٣٦- شرح المغربية

الموسوعات العلمية

٢٣٧- شرح كتاب الشريعة للإمام الأجرى

٢٣٨- شرح كتاب أصول الإعتقاد للالكائى

٢٣٩- الجامع في الرد على الخوارج وأهل الغلو

٢٤٠- الجامع في الرد على المرجئة

٢٤١- الجامع في مسائل الايمان

٢٤٢- الجامع في التوحيد والجهاد

٢٤٣- الكافر في القرآن (موقف القران من الكافر)

٢٤٤- إنه الله ربكم

٢٤٥- مقدمة الرد على شبهات الخوارج والمرجئة

٢٤٦- الجامع في التوحيد والإيمان

٢٤٧- اللوائح والقوانين الإدارية وضابط التحاكم إليها

٢٤٨- خواطر دعوية

٢٤٩- فضائل الصحابة وأمهات المؤمنين وبنات سيد المرسلين

٢٥٠- فوائد مختارة من كتاب أصول الإيمان

٢٥١- شرح مختصر لأركان الإيمان الستة

٢٥٢- شرح مختصر لأركان الإسلام الخمسة

٢٥٣- كفر الجهمية وضلال المعتزلة والأشاعرة

٢٥٤- كفر الجهل والتأويل

٢٥٥- الدعاء عبادة لله ودعاء الأموات والطلب منهم شرك وكفر

٢٥٦- الحكم والتشريع حق لله وحده

٢٥٧- فوائد من حديث الثلاثة

٢٥٨- المسائل والفوائد من شرح مقدمة التوحيد

٢٥٩- الدولة الإسلامية أسس القيام وعوامل الثبات وأسباب السقوط

٢٦٠- شرح السنة للمزنى

٢٦١- شرح صريح السنة للطبرى

٢٦٢- بيوت الله في الأرض المساجد وليست الكنائس

٢٦٣- مباحث ودراسات في السياسة الشرعية

٢٦٤- التوقف والتبين قديماً وحديثاً